المجلة الأردنية للتاريخ والآثار
مجلّد 16، العدد 3، 2022م
(عدد خاص) منوية الدولة الأردنية

آثار الأردن في تقارير المستكشفين والرَّحالة الأجانب
(مرحلة ما قبل تأسيس إمارة شرقي الأردن في عام 1921م)

زيدان عبد الكافي كفافي*

https://doi.org/10.54134/jjha.v16i3.658

ملخص

يقدم البحث في أوله لمحة تاريخية حول طبيعة الأحداث التاريخية والاجتماعية التي عاشتها منطقة شرقي المتوسط، بشكل خاص خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، والتي شهدت موجة كبيرة من الرحالة والمستكشفين الغربيين الذين أتو إليها باحثين عن أخبارها وأهلها، فسجلوها في تقارير قدموها لمؤسساتهم التي أرسلتهم. وربما تكون ربّ ضارة نافعة، إذ أنهم بفعلتهم هذه حفظوا لنا أخبار أجدادنا، وسجلوا لنا آثارنا، اختفى بعضها إن لم يكن أكثرها في الوقت الحاضر. وتبع هذا الحديث شرحاً عن البعثات التبشيرية ومن ثم المستكشفين والرحالة، كل على حدا. لم ينقطع تواصل المشرق العربي مع بلاد الغرب حتى بعد خروج الفرنجة من فلسطين نتيجة لهزيمتهم في معركة حطين عام 1187م، وعودة الحكم الإسلامي إليها على يد الأيوبيين، وتم هذا الأمر عن طريق إرسال عددٍ من المستكشفين والرحالة. خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وجد التبشيريون اللاهوتيون ضرورة تنسيق وتنظيم عملهم من خلال مؤسسات ومدارس علمية تمنهج للعمل الأثري التوراتي. وبناء عليه تم في عام 1865 ميلادية تأسست جمعية (صندوق استكشاف فلسطين Palestine Exploration Fund) تبعها تأسيس مؤسسات لاهوتية أخرى في أوروبا وأمريكا. وحتى يتم تسهيل الأمر على القارئ لهذا البحث وجدنا أنه من الواجب تقسيم الرحلات والرحالة الذين زاروا الأردن قبل تأسيس الأمارة إلى ثلاث مراحل زمنية، شملت كل مرحلة تقديم عدد من الرحالة، وهذه هي:

أ- مرحلة بعد حروب الفرنجة وحتى حملة نابليون على مصر (1187-1798م).

ب-المرحلة بين حملة نابليون وتأسيس المعاهد والمدارس الأثرية الغربية (1798- 1865م).

ج- المرحلة بين تأسيس المدارس والمعاهد الأثرية الغربية وتأسيس إمارة شرقي الأردن (1865-1921م).

ومن الواجب ذكره أن معظم تقارير الرحالة والمستكشفين قبل 1921م قد ركزت على وصف الأماكن المقدسة ومقارنة مواقعها بما ذكر عنها في التوراة. لم يقم المستكشفون والرحالة الغربيون بزياراتهم للمشرق من أجل خدمة العلم، والتعرف على مكنونات هذه المنطقة الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية، فقط، وإنما لنشر الحضارة الغربية والتبشير بالديانة المسيحية أيضاً.

الكلمات الدالة: رحالة، مستكشفون، مؤسسات لاهوتية، مسلة ميشع، واجهة قصر المشتى.

*رئيس جامعة اليرموك الأسبق، باحث في الآثار والتاريخ القديم، 11941 الجبيهة، ص. ب. 201-عمّان، الأردن.

تاريخ الاستلام: 2021/12/30، تاريخ القبول: 2022/3/16.

©2022م عمادة البحث العلمي/الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

مقدمة تاريخية

قبل البدء بهذه الدراسة، نجد من الواجب علينا التحدث بشكل مقتضب عن الأحوال التي سادت شرقي نهر الأردن والمناطق المحيطة به خلال الفترة السابقة لتأسيس دولة إمارة الشرق العربي في عام 1921 ميلادية؛ إذ شَكَّلَ الأردن حينها جزءًا من أراضي الدولة العثمانية قبل سقوطها بانتهاء الحرب العالمية الأولى عام 1918 ميلادية. وبما أن هذه الدراسة كُتِبَت بمناسبة مئوية الأردن، وجدنا من الضروري إلقاء بصيص من الضَّوء على الأحوال التي سادت هذه البقعة من الأرض منذ خروج الفرنجة منها وحتى عام 1921م؛ لأننا نعتقد أن طبيعة تقارير المستكشفين والرَّحالة قد تأثرت كثيرًا بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي سادت حين زياراتهم هذه المناطق.

نرى أن ما آل إليه الحال بعد الحرب العالمية الأولى (1914–1918م) كان حدًّا فاصلًا وعظيم الأهمية في تاريخ البلاد العربية كلها، خاصة بلاد الشام، ليس من النواحي السياسية حَسْبُ، بل من النواحي الاجتماعية والثقافية وطبيعة الحياة اليومية أيضًا؛ إذ تَفَشَّت الأُميَّةُ في بلادنا، خاصة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ما حال دون وجود مؤرِّخين وباحثين عرب، إلّا في ما ندر، يصفون لنا أحوال مجتمعهم خلال هذه الفترات (موسى 1984: 7–8)؛ لذا يجد الباحث العربي ألّا مهرب له سوى البحث في المصادر الأجنبية التي كتبها الرَّحالة والمستكشفون الغربيون.

احتل العثمانيون مصر في عام 1517م، وأعلنوا تبعية الحجاز لدولتهم، كما أرسل شريف مكة ابنه إلى السلطان سليم في القسطنطينية لمبايعته، حاملًا معه مفتاحًا فضيًّا للكعبة، ونسخة من القرآن الكريم. كذلك أخذ الأتراك من مصر إلى القسطنطينية كسوة الكعبة وراية النبي محمد، صلّى الله عليه وسلّم)؛ مما سمح للسلطان العثماني في القسطنطينية بأن يسمي نفسه (حامي الأماكن المقدَّسة)، وتلقب خلفاؤه من بعده بلقب (خليفة). من هنا حاز السلطان التركي العثماني القيادة الدينية للإسلام، وأخذ على عاتقه أمن طرق الحج وسلامة الحُجّاج، ولتحقيق هذا الغرض أقام الحاميات العسكرية على هذه الطرق، وخلاف ذلك لم تحاول السلطة العثمانية في الأستانة السيطرة على داخل الجزيرة العربي، ووقعت السلطة الفعلية في كل من مصر والعراق في أيدي حكام محليين، أعلنوا تبعيتهم الاسمية للسلطان العثماني، وكان والي حلب في نهاية القرن الثامن عشر حاكمًا قويًّا، سيطر على مساحات واسعة في محيط ولايته، كما أباح والي عكا أحمد باشا الجزار لنفسه معاقبة الناس، خاصة التجار، دون تدخل من السلطات في الأستانة، وكم كان يسعد الحكومة العثمانية أن ترى حكام الولايات في سوريا يتصارعون بين بعضهم بعضًا، دون أي تدخل منها؛ لأنها كانت ترى في ذلك تبديدًا لطاقاتهم. وقد أقرَّ السلطان العثماني مجبرًا بسيطرة محمد علي باشا على مصر، وأرسل هذا في عام 1831م ابنه إبراهيم لغزو الشام، وكاد يصل إلى سواحل البسفور لولا تدخل الدول الأوروبية التي ضمنت انسحابه، علمًا أنها كانت في صراع بينها لاقتطاع الولايات العثمانية لنفسها، وعلمًا أن جحافل الجيش العثماني كانت قد وصلت الى مشارف مدينة فينا النمساوية، إلا أنه وفي المقابل لم يأخذ المحافظون العثمانيون بالتقدم التقني الحاصل في أوروبا نتيجة للثورة الصناعية، وكان كل هَم العثمانيين في ذلك الوقت استمرارية ولاء الجزيرة العربية للباب العالي، والمحافظة على تعاليم الإسلام، وإقامة شعائره الدينية.

نعلم أن منطقة شرقي نهر الأردن، خاصة الواقعة شرقي الخط الحديدي الحجازي، كانت تحت سيطرة قبائل وعشائر العربية، وكانت طبيعة العلاقات بينها متذبذبة بين الهدوء والسلم في كثير من الأحيان، والغزوات في أحيان أخرى (Ababsa 2013; 2013a). ومن يطالع تقارير الرحالة والمستكشفين يستنتج أن كل قبيلة كانت تسيطر على منطقة جغرافية محددة بحدود متفق عليها مع القبائل المجاورة لها، ونادرًا ما تشير تقارير الرَّحالة والمستكشفين إلى استقبال

الوالي العثماني لهم، أو حتى تذكر أنه تدخَّل في شؤونهم أو حتى حماهم، بل نجد شيخ القبيلة يستَقبِلُ الرَّحالة ، ونجد الدليل فردًا مستأجر من أفرادها، كما أن الحماية كانت من صلاحية القبيلة التي يمر بأرضها المستكشفون والرَّحالة، وأفضل مثال على هذا ما كتبه كل من الرَّحالة "يوهان لودفيغ بيركهارت" الذي نشر تقريره عام 1822م في كتاب عنوانه: (Travels in Syria and the Holy Land)؛ أي رحلات في سوريا والأرض المقدَّسة، تطرق فيه للعلاقة التي كانت قائمة بين القبائل البدوية والسكان المستقرين خلال زيارته للمناطق التي زارها عام 1812م، إضافة إلى معلومات عن جغرافية المنطقة واقتصادياتها، وكذلك الرَّحالة "هنري بيكر تريسترام"، الذي زار منطقتي الكرك والبلقاء عام 1871م، ونشر تقريره عام 1872م بعنوان "The Land of Moab"، بَيَّنَ فيه العلاقات بين القبائل البدوية وسكان المدن والقرى من جهة أخرى، كما وصف النشاطات الزراعية والتجارية بين هاتين المنطقتين والمناطق المجاورة لهما (تريسترام 2005؛ موسى 1984). ونضيف إلى هذين التقريرين تقرير الرَّحالة ألويس موزيل الذي عاش وجال مع قبيلة الرولة في منطقة البادية، خاصة وادي السرحان والجوف، وتحدث بإسهاب عن العلاقات التي سادت بين قبائل شمالي الجزيرة العربية والبادية الأردنية الشرقية (موزيل 2014). وهذا بالطبع ما كان عليه حال بلاد الشام مجتمعة، ومنها الأردن، خلال زيارات المستكشفين والرَّحالة الذين زاروا بلادنا، خاصة خلال الحكم العثماني.

هذه لمحة تاريخية عن الأحداث التاريخية والاجتماعية التي عاشتها المنطقة، بشكل خاص خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، اللذين شهدا موجة كبيرة من الرَّحالة والمستكشفين الغربيين الذين أتو إليها باحثين عن أخبارها وأهلها، فسجلوها وقدموها لمؤسساتهم التي أرسلتهم. وربَّ ضارَّة نافعة؛ إذ إنهم بفعلتهم هذه حفظوا لنا أخبار أجدادنا، وسجلوا لنا آثارنا، التي اختفى بعضُها إن لم يكن أكثرها في الوقت الحاضر. وبما أننا لن نستطيع ذكر جميع المستكشفين والرَّحالة وما قام به كل منهم؛ لذا قررنا أن نتحدث حول أهمهم. لكنْ، وجدنا من الفائدة أن نقدم قبلها ملخَّصًا عن بدايات البعثات التبشيرية الأوروبية للمشرق العربي ودوافعها، ابتداء من القرن الثامن عشر الميلادي وحتى تأسيس إمارة شرقي الأردن في عام 1921م.

بعد خروج الفرنجة من المشرق العربي على يد الأيوبيين لم ينفك الغرب عن التواصل مع هذه المنطقة في محاولة لمعرفة أخبار أهلها، ودعوة اليهود والمسيحيين الكاثوليك والأرثوذكس، ومن بعدهم البروتستنت إلى الدخول في طوائفهم أو التحول من اليهودية للمسيحية. لكنهم لم يلقوا بالًا للمسلمين، ولم يدعوهم للمسيحية. وكانت الدولة العثمانية قد منحت أصحاب الديانات الأخرى غير الإسلامية في عام 1740م تفويضًا (الامتيازات الأجنبية Capitulations) تسمح بموجبه للدول الأخرى بحماية الطوائف الدينية التابعة لملتها في فلسطين العثمانية. وبناء عليه اعتبرت فرنسا نفسها حامية للطائفة الكاثوليكية، مما أدى إلى توسع النشاط التبشيري الكاثوليكي، وعلى غرارها، وفي عام 1744م، تولت روسيا حماية المسيحيين الأورثوذكس، وبدأت تبشر بالأرثوذكسية. ولم تظهر البعثات التبشيرية البريطانية البروتستنتية إلا في القرن التاسع عشر. علمًا أن النفوذ الألماني في الدولة العثمانية وقبل توحيدها على يد المستشار (أوتو فون بسمارك Otto von Bismarck) في عام 1871م في المجالين التبشيري والثقافي، كان مقتصرًا على مملكة بروسيا، أكبر الإمارات الألمانية (محافظه 1981: 11). ومن المعلوم أن نظام الامتيازات العثماني قد مُنح لأول مرة في عام 1535م حين تحالف السلطان سليمان القانوني وملك فرنسا. ويرى بعض الباحثين أن نظام الامتيازات العثماني كان سببًا في جر الدولة العثمانية نحو الضعف والانهيار، حيث خرج عن نطاقه التجاري إلى الديني (الواعري 2007: 55،

60 – 61). ودار صراع كبير بين الدول الأوروبية خلال القرن التاسع عشر، أي المرحلة التي أطلق عليها اسم "المسألة الشرقية"، للسيطرة على ممتلكات الدولة العثمانية في أوروبا والمشرق العربي. وزاد هذا التنافس بشكل خاص بعد حملة نابليون على مصر وحملة محمد علي على بلاد الشام، وكذلك نتيجة وقوف الدول الأوروبية إلى الجانب الدولة العثمانية ضد روسيا ومحمد علي. وبناء على نظام الامتيازات هذا، تدفقت البضائع الأوروبية إلى المنطقة، فنتج عنها سيطرة اقتصادية تبعتها امتيازات دينية، وكان أكبر المستفيدين من هذا بريطانيا البروتستنتية. وهكذا نشأ صراع قوي بين بريطانيا وفرنسا وروسيا لتحقيق أطماعها الاستعمارية في المشرق العربي. أما ألمانيا، فلم تُظهر أي اهتمام ملحوظ في استعمار المنطقة حتى عام 1890م حين استعانت الدولة العثمانية ببعثة عسكرية ألمانية. ولقد كان هذا التدخل مقتصرًا فقط على النشاطات التي كانت تقوم بها الحكومة البروسية، وهي أكبر الإمارات الألمانية. لكن، وبمرور الوقت، أبدت ألمانيا اهتمامًا كبيرًا وخاصًا خلال القرن التاسع عشر باستكشاف فلسطين، فأرسلت المستكشفين والرحالة إليها (الواعري 2007: 83– 130).

وكان للدخول البروتستنتي البريطاني على خط الجمعيات التبشيرية الكاثوليكية والأرثوذكسية تأثير قوي في فلسطين؛ إذ وُجِّه التبشير إلى شرائح معينة من المجتمع الفلسطيني، بقصد كسب ولائها، ثم ركز هذا التوجه اللاهوتي الجديد على منهج كتابة تاريخ فلسطين القديم من خلال التأثير على منهجية البحث الأثري، وأخيرًا سعى التبشير البروتستنتي إلى الحصول على تأييد للرؤيا المسيحية البروتستنتية التي تنص على شرعية الادعاء اللاهوتي بأحقيتهم في فلسطين (إبراهيم 2009). ويذكر نقولا زيادة (2002: 23) بهذا الصدد أنه كان هناك سياسة عقائدية عدائية بين موقف الكنيسة اللاتينية من الكنيسة الشرقية؛ إذ إن الأولى تعدُّ أتباعَ الثانية هراطقةً خرجوا عن الطريق السليم؛ مما يوجب عودتهم إلى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية بزعامة البابا.

ومع تقدم البحث في العلوم الطبيعية خلال القرن التاسع عشر وتحديها للمعلومات التوراتية ازداد الاهتمام بدراسة الآثار التوراتية في فلسطين، وتأسست لهذا السبب جمعية فلسطين (Palestine Association) في لندن عام 1804م، ومن بعدها وفي أربعينيات القرن التاسع عشر (الجمعية الأثرية التوراتية Biblical Archaological Society). ومن هنا، زار أعضاء هذه الجمعيات الأرض المقدَّسة زيارات عدة خلال ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر، من أمثال (إدوارد روبنسون Edward Robinson) و (إلي سميث Eli Smith) بهدف الحصول على أدلة علمية تثبت صحة ما ورد في نصوص الكتاب المقدَّس، وكتب هؤلاء تقارير حول نتائج زياراتهم مشفوعة بالرسومات التوضيحية.

وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر أحس التبشيريون اللاهوتيون بضرورة تنسيق العمل وتنظيمه من خلال مؤسسات ومدارس علمية تمنهج العمل الأثري التوراتي. وبناء عليه، تأسست عام 1865 جمعية (صندوق استكشاف فلسطين Palestine Exploration Fund)، وأعلن مؤسسوها أن هدفها جمع الأدلة لإثبات صحة معلومات الكتاب المقدس التاريخية. وكان جميع من قام على تأسيس هذه الجمعية من المشاركين في الجمعيات البروتستنتية التبشيرية، التي دفعت باتجاه تطوير البحث الأثري في فلسطين، ورفض مؤسسو الصندوق أن تكون جمعيتهم على شكل هيئة دينية، بل رأوا أنه يجب "توفير المساعدة وتأمينها لعلماء الكتاب المقدَّس في تفسير النص المقدَّس عن طريق مراقبة حذرة وفهم لأسلوب وعادات شعب الأرض المقدَّسة" (إبراهيم 2009). ومن هنا، عمل الرَّحالة والمستكشفين والآثاريين على المواقع والآثار التي ترتبط بالسردية التوراتية.

نستنتج أن هذا التوجه البروتستنتي التبشيري قرر طبيعة العلاقة التي قامت بين السكان العرب في فلسطين

والبريطانيين البروتستنت خلال القرن التاسع عشر، على أساس اهتمامهم بالمسيحيين واليهود وحسب، دون المسلمين وهم أكثر أهل فلسطين. كما وضع هذا أطار تعاون للمؤسسات اللاهوتية البروتسنتية في ألمانيا وأميركا للبحث في فلسطين، وأدى إلى وجود علاقات تنافسية مع الفرنسيين الكاثوليك والروس الأرثوذكس.

اهتم ملك بروسيا الألمانية (فردريك فيلهلم الرابع Friedrick Wilhelm IV) اهتمامًا كبيرًا بالنشاط التبشيري في فلسطين، حتى إنه فكر بإنشاء وطن مسيحي فيها، ورأى أنه لن يتحقق إلا من خلال التعاون بين الكنيستين الإنجيلية البروسية والإنجليكية البريطانية البروتستنتية ووحدتهما، وإنشاء أسقفية (مطرانية) بروتستنتية في القدس تعترف بها الدولة العثمانية. وهذا ما كان في عام 1941م، وبناء عليه تابعت ألمانيا إرسال الإرساليات التبشيرية التي بدأتها (الجمعية الألمانية المسيحية) إلى فلسطين، وتأسيس المؤسسات والجمعيات الخيرية البروتستنتية الألمانية فيها (محافظة 1981 :38- 43 ، 55– 70).

وتعرض منهج المستشرقين في الدراسات التوراتية إلى نقد واسع من قبل الدارسين والباحثين، إذ وصفه جورج مندنهول (Mendenhall 2002: 193- 202) بأنه أصبح في الوقت الحاضر فوضويًا بعد تعرضه للنقد من قبل الباحثين الأنثروبولوجيين وانعكاس الاتجاهات الدينية المعاصرة. ويرى الأنثروبولوجيون أن المعلومات التي يمكن الحصول عليها من خلال دراسة الآثار غير كافية للحكم على طبيعة حياة المجتمعات، ويجب دراسة الأمور غير الملموسة، مثل كمية المعرفة، والمهارات، والأفكار، واللغات، والقيم، والآراء، والنظريات السياسية التي تنظم العلاقة السلمية بين أفراد المجتمع الواحد.

كذلك ناقش محمود أبو طالب (Abu Taleb 2002: 203-225) تاريخ إسرائيل التوراتية والاستشراق، وذلك من خلال مناقشة قضية خروجهم من مصر وربط أحداثها بالمواقع واللقى الأثرية. كما تعرض في مناقشته لنشوء مدرسة كوبنهاغن من المقلّين (Minimalists)، ورأي هؤلاء بضرورة طرح منهج جديد للدراسات التوراتية عوضًا عن منهج المدرسة التقليدية (Maximalists). واعتمد المقلّون في رأيهم هذا على نتائج حفرياتهم الأثرية التي جرت في السنوات الأخيرة من القرن العشرين في مواقع ذكرتها النصوص التوراتية، ولم يعثروا فيها على شواهد أثرية تثبت حدوث خروج بني إسرائيل من مصر.

ما ذكر في أعلاه يعني أن الأهداف التبشيرية الدينية كانت من أهم دوافع زيارة فلسطين والتنقيب فيها؛ خاصة إذا ما علمنا أن النصوص التوراتية تذكر أن القبائل الإسرائيلية الاثنتي عشر قد استوطنت وتوزعت بين أجزاء كبيرة من غربي النهر (تسعة قبائل ونصف)، وشرقيه (قبيلتان ونصف)، بعد احتلالها لهذه المناطق بالقوة، حسب الروايات التوراتية التي نشكك بصحتها (كفافي 2019 ؛2021). وهذا هو الدافع والمحرك الأساس في مبادئ الحركة الصهيونية، بشكل خاص. وفي محاولة منها لإثبات صحة ما ورد في التوراة من معلومات من خلال تقارير المستكشفين والرحالة والمنقبين الآثاريين، أُرسِلَ هؤلاء الرَّحالة والمستكشفون، خاصة إلى المناطق والمواقع التي ذكرت في التوراة (Albright 1971: 23-48)، فنجدهم في كثير من الحالات يلوون عنق الحقيقة بتفسيرات لا تتوائم ونتائج هذه النشاطات الميدانية الأثرية. ونجزم أن استخدام هذا المنهج غير علمي؛ لأنه اعتمد في أكثر الحالات على المراقبة والمشاهدة أكثر من الدراسات المعتمدة على دراسة المصادر البحثية الأصلية الأثرية بشكل يبتعد عن النتائج المعدّة والمحضر سابقًا، حتى قبل إجراء الرحلات والحفريات التي جرت للبحث عن طبقة حريق سببها هجوم الإسرائيليين عند دخولهم لغربي النهر، حسب

زعمهم. إن هذا السبب يعدُّ من أهم الدوافع للقيام بمثل هذه الزيارات والرحلات الاستكشافية، التي تبعتها حفريات أثرية في بعض المواقع التي ذكرتها التوراة، والتي لها علاقة بالإسرائيليين القدماء، سواء في أثناء خروج العبرانيين من مصر أو بعد تأسيس دولتهم قصيرة العمر (سبعون عامًا).

كما، بيّنا في دراسة سابقة (كفافي 2019) فإن أهم أهداف هذه الزيارات تقديم التقارير حول بلاد وعباد المشرق، خاصة بعد انتهاء حروب الفرنجة، وخروجهم من هذه الديار كما ذكرنا في أعلاه. ومن نافل القول إننا ما زلنا نرى الغربيين (أوروبا وأميركا) يحلمون بسيطرة الغرب على المشرق، والتحكم في موارده الطبيعية والاقتصادية وفرض مظاهر الحضارة الغربية عليه.

وحتى يستقيم الأمر للاهوتيين في إدعاء حق لهم في أرض فلسطين، كان لا بد لهم من الحصول على معلومات عن أرض وسكان هذه البلاد، وهذا لا يتأتى إلا بإرسال المستكشفين والرحالة لزيارة الأرض المقدَّسة. وجاء هؤلاء الرحالة إلى المنطقة لأمرين، هما: أولهما تكليف من المؤسسات الدينية، وثانيهما بأمر وتمويل من حكام بعض الدول الأوروبية. وقارئ تقارير هؤلاء الرحالة والمستكشفين يستنتج أنهم ساروا على خطى الرهبان الكاثوليك والبروتستنت، وأنهم تلقوا العناية من الأديرة في المنطقة وكان رهبانها أدلاءهم وزودوهم بالمعلومات اللازمة. ومن هنا جاء معظم، إن لم يكن جميع، المعلومات الواردة في تقاريرهم متشابهًا. كما أن هؤلاء الرحالة لم يكونوا على معرفة باللغة العربية، إلا من رحم ربي، فجاء اتصالهم بسكان المناطق التي زاروها بوساطة مترجمين (محافظة 1981: 26). وحتى نوضح الأمر، نقدم في أدناه دراسة لتقارير كثير من هؤلاء الرحالة، بعد أن قسمناها إلى ثلاث مراحل زمنية، حسب ما هو مبين في في أدناه.

أهم المستكشفين والرحالة الغربيين في الأردن قبل تأسيس الإمارة في عام 1921م:

ذكرنا في أعلاه أن تواصل المشرق العربي مع بلاد الغرب لم ينقطع حتى بعد خروج الفرنجة من فلسطين بعد مدة طويلة من اندحارهم في معركة حطين عام 1187م، وعودة الحكم الإسلامي إليها على يد الأيوبيين، وتم هذا الأمر بإرسال المستكشفين والرحالة. وجرت هذه الزيارات الاستكشافية بادئ الأمر بشكل فردي، وبمبادرات ذاتية، لكنها تطورت لاحقًا لتصبح على شكل فرق استكشافي مكونة من علماء ذوي اختصاصات علمية متعددة ومختلفة، ومكلّفة وممولة من دول ومؤسسات أوروبية متعددة، مثل رحلة كارستن نيبور (كفافي 2021). ويمكننا القول إن أهداف الرحلات الاستكشافية للأرض المقدَّسة مرت بعدة مراحل تبعًا للتطورات السياسية، وعلى النحو المبين في أدناه:

أ. مرحلة بعد حروب الفرنجة وحتى حملة نابليون على مصر (1187–1798م):

اهتم المؤرخون والجغرافيون في العصور اليونانية والرومية والبيزنطية بدراسة تاريخ الناس وحضارتهم، نذكر من هؤلاء هيرودتوس الذي زار بعض بلدان شرقي المتوسط في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، وتبعه مجموعة آخرون منهم تيودور الصقلي (80–20 قبل الميلاد)، وسترابو (63–21 قبل الميلاد) الذي ذكر الأنباط في كتاباته، والمؤرِّخ بلني "Pliny the Elder وبطليموس، ويوسوبيوسEusebius ، ولا ننسى المؤرِّخ اليهودي "جوزيفوس". وكانت جهود هؤلاء فردية لكن ما دونوه يعدُّ ذا فائدة عظيمة؛ إذ قدمت معلومات عن الناس والمدن والأقاليم التي زاروها قبل الفتح الإسلامي، أي قبل عام 636م وانتصار المسلمين في معركة اليرموك. وتبع هؤلاء الرحالة الإغريق والروم، أو عاصرهم، جغرافيون ورحالة مسلمون، من أمثال ابن خرداذبه وكتابه "مسالك الممالك"، والبلاذري في مؤلفه "معجم البلدان" (كفافي 2004: 24–27).

بعد انتهاء حروب الفرنجة، وخاصة خلال القرون الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر، توالت الرحلات من مختلف البلدان الأوروبية إلى مصر وبلاد الشام، وبلاد الرافدين، خاصة إلى الأرض المقدَّسة. وبدأت حركة الاستشراق في فرنسا في زمن الملك فرانسوا الأول (1515–1560م) بهدف دراسة تاريخ ولغات وثقافات وحضارات الشرق. ولتحقيق هذا الهدف أنشئ المعهد الملكي الذي ركز العاملون فيه على تدريس ودراسة اللغة والمخطوطات العربية؛ لأن الإلمام بهذه اللغة هو المفتاح للمعرفة بالعرب وتاريخهم وثقافتهم (منصف 2019: 11).

جذبت الأرض المقدَّسة أنظار الرحالة المسيحيين الأوروبيين فجاؤوا إليها زائرين، وسجلوا في أثناء وجودهم فيها ملاحظاتهم، وكتبوا تقارير أشبه ما تكون بمذكرات حول الأماكن والمناطق التي زاروها. لكنْ، وكما ذكرنا في أعلاه، احتل الاهتمام بالمعالم والمخلفات الأثرية المسيحية مكانة رئيسة في تقاريرهم خاصة بعد انتهاء حروب الفرنجة، وقدوم أفواج من الحجاج المسيحيين إلى هذه البلاد. ويذكر الآثاري الأمريكي وليم فوكسويل أولبرايت (Albright 1971: 23) أن معظم تقارير هؤلاء الحجاج وصفت أحوال المنطقة كما كانت عليه في العصور الوسطى، ويطغى عليها التعصب الديني. غير أن بعضًا من هذه التقارير لم يخل من معلومات صحيحة وغير متحيزة ، كما هو الحال في تقارير السويسري فيلكس شميدت (Felix Schmidt "Fabri") عن رحلاته في فلسطين خلال الفترة 1480 و1483م، والفيزيائي الألماني ليونارد راوخفولف (Leonard Rauchwolf) الذي زار فلسطين عام 1575م، وقدم وصفًا دقيقًا لطبيعتها ونباتاتها وأشجارها، كما اهتم آخرون من أمثال البلجيكي يوحنا زولارت (Johann Zuallart) برسم المباني المعمارية ووصفها.

ازداد اهتمام دارسي اللاهوت المتعصبين خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين بزيارة الأرض المقدَّسة، ومن هنا حصلنا على تقارير تعكس أحوال المنطقة في ذلك الوقت، خاصة بعد طبعها على شكل حوليات. ومنها وصف رحلات الإيطالي بيترو ديلا فال (Pietro della Valle) في الفترة بين سنتي 1639 و1650م، وهو يحوي وصفًا أكثر دقة لآثار المنطقة من التقارير السابقة. وتبع هذا التقرير تقارير أخرى من لاهوتيين من بلدان أوروبية أخرى، زاروا المنطقة في بداية القرن الثامن عشر (Albright 1971: 24)، لكنها لم تخرج عن المألوف في وصف المنطقة والناس. غير أن ما قدمه الهولندي أدريان ريلاند (Adrian Reland) في عام 1709م في كتاب عنوانه (" Palestina ex monumentis veteribus illustrate" فلسطين مصورة من خلال معالمها القديمة) يعدُّ خارجًا عن المألوف في تقارير الرحالة الغربيين من حيث الموضوعية في الوصف. لكنْ، وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بدأت هذه الرحلات تأخذ طابعًا مختلفًا، بدلالة رحلة كارستن نيبور (Karsten Niebuhr) التي بدأت في عام 1765م، وشارك فيها باحثون مختصون في الجغرافية، والطبيعة، والرسم والتصوير، والكتابات القديمة، وذلك لأنها كانت بتكليف وترتيب من ملك الدنمارك. وعلى شاكلتها كانت حملة نابليون، أي ابتداء من القرن التاسع عشر، أصبح الملوك والدول الأوروبية هم الذين يدعمون القيام بمثل هذه الرحلات.

يدلنا استمرار مثل هذه الرحلات لاستكشافات الأرض المقدَّسة وأهلها دلالة قاطعة على أن أهل الغرب (Occident) ما انفكوا يطمعون بالسيطرة على المشرق العربي (Orient). وأكبر دليل على قولنا هذا حملة نابليون على مصر وعكا في عام 1798م؛ إذ إن نابليون لم يحشد الجيوش للسيطرة على مصر وفلسطين فقط، لكنه أحضر معه عددًا كبيرًا من العلماء الذين وصفوا، ورسموا، وسجلوا جميع الآثار الظاهرة فوق سطح الأرض، خاصة في مصر (كفافي 2004: 24–26).

ب. المرحلة بين حملة نابليون وتأسيس المعاهد والمدارس الأثرية الغربية (1798– 1865م):

زاد اهتمام الدول الأوروبية ودارسي اللاهوت المتعصبين بدراسة الأراضي المقدَّسة، خاصة بعد حملة نابليون على مصر وهجومه على عكا (1798–1801)، ومن هؤلاء نذكر: الألماني أولرش ياسبر سيتزن (Ulrich Jasper Seetzen 1805-1807) الذي زار مدينة جرش، والسويسري يوهان لودفيغ بوركهارت (Johann Ludwig Burckhardt 1801-1812) الذي أعاد اكتشاف مدينة البتراء، والإنجليزيان سي. ل. إيربي وجيمس منجلز (James Mangles 1817-1818) اللذين زارا موقع عراق الأمير، وجون سلك بكنغهام (John Silk Buckingham 1821) الذي أعاد زيارة جرش، ورسم مخططات للمباني الموجودة فيها (Albright 1971: 24-25). نقدم في أدناه معلومات موجزة عن أهم هؤلاء الرحالة:

1. أولرش ياسبر سيتزن (1767–1811م):

هو واحد من المستكشفين الألمان الذين زاروا الجزيرة العربية وفلسطين. درس الطب في جامعة غوتنجن (University of Gottingen) بين عامي 1785–1789م، علمًا أنه كان شديد الاهتمام بدراسة العلوم الطبيعية والآثار؛ حيث نشر أبحاثًا في هذين الحقلين، مما أكسبه سمعة علمية واسعة. كما دفعته هذه الاهتمامات للقيام بعدد من الرحلات الجغرافية الاستكشافية. هذا مع العلم أنه حصل على درجة الدكتوراة في دراسة "أمراض النباتات". وقد شجعه زملاؤه في الدراسة، من أمثال ألكسندر فون همبولدت (Alexander von Humboldt) للقيام برحلات استكشافية على غرار ما قام به هو في جنوبي أميركا وإفريقيا، وبناء عليه، ارتحل سيتزن مستكشفًا إفريقيا وبلدان شرقي المتوسط ابتداء من عام 1802م. وتعلم اللغة العربية وأتقنها، وهذا ساعده في تنقلاته بين مدن إسطنبول، وحلب، ودمشق، والقدس، والقاهرة، ومكة، والمدينة. والذي يهمنا من هذا كله زيارته للأردن بين سنتي 1808–1809م؛ إذ زارها قادمًا من حلب، بعد أن مكث فيها سنتين (1803–1805م). ومن أهم رحلاته زيارته للمنطقة المحيطة بالبحر الميت دون مرافق (Scurla 1961:189-242). كما زار مكة، وقدم إليها من مصر حاجًا، بعد أن أشهر إسلامه عام 1809م. وهذا الأمر ساعده في تجواله في الجزيرة، حيث زار المدينة، والمخا، ومسقط، وتوفي مسمومًا في صنعاء. فنرى أن اهتمام الألمان بدراسة واستطلاع الشرق العربي عامة، وفلسطين خاصة، بدأ مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر. بعدها زار رحالة ألمان منطقة المشرق العربي، ذكرهم وناقش أعمالهم علي محافظة بالتفصيل (محافظه 1981: 21–33).

ومن أهم ما قام به ستزن أثناء رحلاته جمعه لعدد كبير من المخطوطات العربية (بلغ عددها أكثر من ألف وخمسمائة مخطوطة نادرة)، وعينات من النباتات والمعادن والآثار (ثلاثة آلاف قطعة أثرية) (بيركهارت 2005: 10)، كما دون مذكراته اليومية حول البلدان التي زارها وطبيعة المجتمعات الشرقية. وتعد هذه المجموعات إضافة للرسومات والمخططات ومذكراته اليومية ورسائله أساسًا مهمًا للدراسات الشرقية في بداية القرن التاسع عشر (Lichtenberger 2002). وجمع ونشر هذه الأعمال في بداية الأمر فردريك كروزه (Fredrick Kruse) في أربعة مجلدات في الفترة بين عامي 1854 و1859م بعنوان:

Kruse, F. (ed.) 1854-1859; Ulrich Jasper Seetzen's Reisen durch Syrien, Palästina, Phönicien, die Transjordan-Länder, Arabia Patraea und Unter-Ägpten. 4 Bände. Berlin.

كروزه، ف. (محرر) 1854–1859؛ رحلات ياسبر سيتزن في سوريا، وفلسطين، وفينيقية، وأراضي شرق الأردن، وبترا العربية ومصر السفلى. وقد نشر في أربعة مجلدات. برلين.

وبالرغم من زيارة سيتزن لعدد من الأماكن المسيحية في المنطقة، إلا أن الحافز الديني لديه كان ثانويًا، وكان همّه الأول جمع بعض القطع والموروثات التراثية لتقديمها إلى ممول رحلته (ساكسه- غوتا) الألماني (سلبرمن 2001: 44).

2. تشارلز ليونارد إيربي Charles Leonard Irby (1789-1845):

ولد تشارلز ليونارد إيربي في بريطانيا، وعمل في الأسطول الملكي البريطاني، وشارك في عدة حروب منها ضد نابليون، وكذلك حرب عام 1812م. وارتحل في الفترة بين عامي 1816 و1818م في أوروبا والشرق العربي، بعد أن أجبرته أحواله الصحية على ترك الخدمة في الأسطول.

بدأ إيربي رحلته إلى الشرق العربي برفقة زميله في البحرية الإنجليزية جيمس مينغلز (Games Mangles) في عام 1816م، فزارا معبد أبو سمبل في مصر، ثم عبرا صحراء سيناء بموازه ساحل البحر المتوسط حتى وصلا بعلبك في لبنان، وحلب في سوريا. بعد هذا زارا تدمر فدمشق، ومن ثم عبرا غور الأردن، وتجولا في منطقة البحر الميت ومنه إلى القدس. وجُمعت مراسلاته وطبعت في عام 1823م في كتاب عنوانه:

Travels in Egypt and Nubia, Syria, and Asia Minor, during the Years 1817 and 1818. . London: Printed for Private Distribution by T. White & Co.

"رحلات في مصر والنوبه، وسوريا، وآسيا الصغرى خلال سنوات 1817 و 1818. لندن: طبع وتوزيع خاص بواسطة ت. وايت وشركاه".

3. يوهان لودفيغ بيركهارت (Johann Ludwig Burckhardt) (1784-1817م):

ولد **يوهان لودفيغ** بيركهارت في لوزان السويسرية لعائلة غنية اتجرت بالحرير. تلقى علومه في جامعتي لايبزيغ وغوتنجن الألمانيتين، وعُرف عنه بأنه رحالة، وجغرافي، ومختص في الدراسات الشرقية. أوهم الناس أثناء رحلاته بأنه اعتنق الإسلام، وغيّر اسمه إلى "الشيخ ابراهيم بن عبدالله". ومن الملاحظ أنه كتب جميع مراسلاته باللغة الفرنسية، وكان أول الأوروبيين الذين قدّموا مدينة البترا للعالم. وكان الدافع وراء رحلات بيركهارت السويسري الأصل على رأس بعثة استكشافية بريطانية للمنطقة هو انتقامه من نابليون الذي أسر والده، فسعى إلى مساعدة بريطانيا على التوسع في الشرق على حساب فرنسا (سلبرمن 2001: 46).

غادر بيركهارت سويسرا في صيف عام 1806م إلى انجلترا باحثًا عن وظيفة في القطاع المدني، وحصل عليها في "الجمعية الإفريقية "African Association" التي أوكلت إليه مهمة جمع معلومات عن حوض نهر النيجر. وللتحضير لهذه المهمة درس العربية، والعلوم، والطب في جامعة كمبريدج متتلمذًا على يد الرحالة (إدوارد دانيال كلارك). وانطلق في رحلته من مدينة القاهرة باتجاه مدينة تمبكتو في النيجر، وتزيا أثناءها بالزي العربي الإسلامي. لكنه انطلق بعدها، في عام 1809م، من بريطانيا إلى حلب، ليتمكن أكثر من العربية ومن العادات الإسلامية. والتقى في طريقه إلى حلب، وبالتحديد في مالطا، بالرحالة أولرش سيتزن الذي أعلمه أنه حاول البحث عن مدينة البترا النبطية، لكنه تعرض لمحاولة للقتل، فلم يتمكن من المتابعة.

وبعد أن أقام سنتين بحلب، قرر الانطلاق في رحلته، ظانًا أنه أصبح في أمان إن تجول في العالم العربي، وذلك لتمكنه من العربية، وتحوله للإسلام، ولباسه لباس المنطقة، ومعرفته بعاداتها. وليتأكد من سلامته، ومن نجاحه في التمويه قبل الذهاب لإفريقيا، ترحل في لبنان وفلسطين والأردن في زي عربي فقير، ونام على الأرض مع غيره من الجمَّالة.

ترك بيركهارت حلب عام 1812م متوجهًا إلى دمشق ومنها إلى عجلون فعمان. ومن هناك انطلق إلى الكرك، حيث قدم

نفسه للحاكم المحلي وشيخ المدينة المدعو الشيخ يوسف. وتعهد هذا الحاكم بحماية ضيفه، وطلب منه أن يترك أشياءه الثمينة في عهدته. كما أرسل معه دليلًا قاده إلى جنوب مدينة الكرك، لكن هذا الدليل جرّده من بقية ممتلكاته، وتركه وحيدًا وسط الصحراء. لكنْ، ولحسن حظه وجد بالقرب منه مخيمًا للبدو الذين زودوه بدليل جديد، فأكمل رحلته باتجاه الجنوب.

توجه بيركهارت من الكرك إلى القاهرة مارًا بالعقبة، حيث واجه العديد من الأخطار. وسجل وهو في طريقه مجموعة من الآثار في وادي ضيق (ربما يكون السيق في البترا) وهو متوجه لزيارة مقام هارون. ومن المعلوم أن هذه المنطقة كانت في يوم من الأيام تابعة للمقاطعة الرومية بترا (Arabia Petraea). وحتى تتم هذه المغامرة أخبر الدليل أنه يرغب بالتضحية بكبش/خاروف عند مقام هارون، فقاده الدليل داخل السيق، وكان هذا في يوم 22 آب من عام 1812م، وبهذا يكون أول رحالة أوروبي تقع عيناه على آثار مدينة البترا عاصمة الأنباط. ويذكر بيركهارت أنه رغب بشدة في زيارة منطقة وادي موسى لما سمعه من الناس عن عظمة آثار هذا الوادي.

ويذكر بيركهارت في تقاريره أنه استأجر دليلًا من بلدة "الجي" ليوصله لمقام هارون، ويضيف أنه كان وسط الصحراء دون حماية، في منطقة لم يصل إليها أحد من الرحالة الغربيين. ويضيف أنه وفي طريقه إلى مقام هارون شاهد مبنى، أعتقد أنه ضريح، لكن أهل المنطقة يسمونه "خزنة فرعون"، وقد هاله منظر هذا المبنى المنحوت في الصخر، علمًا أن أهل المنطقة يعتقدون أنه كان قصرًا /مكان إقامة لأمير، لكن بيركهارت ظن أنه قبر لأمير، وتعكس فنون بنائه مظاهر بذخ أهل المدينة الذين قدموا هذا المبنى ذكرى لحاكمهم أو أميرهم.

يقول بيركهارت إنه لم يستطع أن يقيم طويلًا في البترا خوفًا من انفضاح أمره، أو الاعتقاد بأنه كافر يبحث عن الكنوز. لهذا استمر في رحلته إلى القاهرة التي وصلها يوم 4/ 9/ 1812 بعد أن قطع صحراء جنوبي الأردن وصحراء سيناء. ورأى أنه، وبعد زيارته للبترا، أصبح بإمكان رحالة آخرين غرباء عن المنطقة زيارة آثار وادي موسى والتمتع بآثار المنطقة، إن تأمنت لهم الحماية اللازمة.

حاول بيركهارت أثناء وجوده في القاهرة ترتيب زيارته إلى تمبكتو، لكنه فشل في مسعاه؛ إذ علق في السودان مدة طويلة، ثم زار سيناء والإسكندرية، وقطع البحر الأحمر إلى جدة قاصدًا مكة والمدينة حاجًا. لكنه عاد بعدها إلى القاهرة حتى وافاه الأجل ودفن هناك يوم 15/ 10/1817م. وكان بيركهارت قد قضى آخر سنتين (1815–1817م) من عمره في القاهرة يكتب ويحرر يومياته وتقاريره والتي جُمعت في كتاب عنوانه: (رحلات في النوبة، وسوريا، والأرض المقدَّسة، والجزيرة العربية Travels in Nubia, Syria, The Holy Land and Arabia)، والذي ترجم إلى عدة لغات منها العربية (بيركهارت 2005).

لقد كان يوهان لودفيغ بيركهارت أول رحالة أجنبي استطاع الدخول إلى مدينة البترا، ويقدم لنا وصفًا سريعًا لمشاهداته، مشفوعًا برسومات يدوية ومخططات. وإضافة للمعلومات التي قدمها عن البترا، وصف لنا كثيرًا من المدن والقرى والمظاهر الطبيعية التي مر بها في طريقة عبر الأردن، مثل الفدين/ قرب المفرق، والزرقاء حيث ذكر قلعة فيها وأن سكانها كانوا يصطادون الخنازير البرية، وقلعة القطرانة، وقلعة الكرك، وقلعة الحسا، وقلعة عنيزة، وقلعة معان، وصولًا إلى العقبة (بيركهارت 2005: 302 –305)، وهذا يعني أنه سلك في دربه طريق الحج الشامي. كما جمع ووثق عددًا كبيرًا من النقوش اليونانية والنبطية والصفوية والعربية (بيركهارت 2005: 501–531).

لقد سجل هؤلاء الرحالة والمستكشفون ما هو ظاهر فوق سطح الأرض فقط، وكتبوا تقارير عن هذه الآثار الظاهرة، كما رسموا المخططات للمباني. وبطبيعة الحال، فإن هذا المنهج الوصفي لم يكن كافيًا لدارسي اللاهوت للحصول على

معلومات تؤكد صحة النصوص التوراتية، فكان لا بد من إجراء تنقيبات أثرية في مواقع تذكرها التوراة. وحتى يتم هذا العمل لا بد من مأسسته، لأنه مكلف جدًا، كما أنه بحاجة لمشاركة عدد من المختصين في عملية التنقيب (كفافي 2004: 25-35).

يتبين القارئ لما تقدم أن ما قام به هؤلاء الرحالة والمستكشفون خلال نهاية القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر لم يخرج عن المبادرات الفردية، وأنه هؤلاء تحولوا للإسلام حتى يسهلوا مهمتهم، أي تظاهروا باعتناقهم الإسلام. كما أن معظمهم تعلم العربية وأتقنها، وهذا سهل لهم الوصول للمعلومات، وكذلك التعامل مع المجتمعات قيد الدراسة.

لقد ترحل المستكشفون والرحالة البريطانيون خلال القرن التاسع عشر، وكتبوا تقاريرهم عن زياراتهم للأرض المقدَّسة تحت حماية الأسطول البريطاني في البحر المتوسط. ودخل بعضهم الأرض المقدَّسة كمسافرين عاديين ، ونذكر من هؤلاء (إدوارد دانيال كلارك) الذي وصل مدينة عكا عام 1801م، والذي يعدّ من أشهر الجغرافيين والرحالة البريطانيين في ذلك الوقت (سلبرمن 2001: 42).

4. رحلة الأميركي وليم فرانسيس لنش (Willian Francis Lynch) 1847-1848:

ولد وليام فرانسيس لنش عام 1801م في فرجينيا وتوفي عام 1865. دخل سلك البحرية الأميركية عام 1828م، وبعد أن رقي لرتبة ملازم تزوج من ابنة ضابط، وبعد أن انجبا طفلين انفصلا عن بعضهما. لكنَّ ما اشتهر به لنش هو نشأته وسلوكه وطريقة تفكيره العسكرية (Rook 1998: 9-11).

بعد الرحلة التي قام بها الأميركي إدوارد روبنسون الذي اهتم خلالها بدراسة لغات وتراث الناس في فلسطين، بدأت رحلات بحرية منتظمة تأتي من أميركا لزيارة الأرض المقدَّسة؛ إذ بعد وقوف الأوروبيين إلى جانب الدولة العثمانية ضد محمد علي باشا بسبب احتلاله لفلسطين ومحاولة السيطرة الشاملة على بلاد الشام، فُتحت الأبواب أمام التجار والمستكشفين الأجانب، الأوروبيين خاصة، للتحرك بسهولة في جميع أرجاء الإمبراطورية العثمانية. وقد كان الهدف الأول لهم الحصول على المواد الخام والسيطرة على الطرق التجارية في البلاد، ومن هنا سعوا بكل الطرق للحصول على امتيازات تجارية من الأستانة. ولتحقيق هذا الهدف التجاري وقعت أميركا مع الدولة العثمانية اتفاقية الامتيازات التجارية في عام 1830م (سلبرمن 2005: 90).

وكان إدوارد روبنسون قد ذكر أن وادي حفرة الانهدام يقسم بلاد الشام عموديًا إلى شطرين، ويضم هذا الوادي بحيرة طبرية، ونهر الأردن، والبحر الميت. وهذا يعني وجود طريق تجاري يصل أواسط سورية بخليج العقبة، ويمكن استخدامه لشحن البضائع من سواحل البحر المتوسط إلى أواسط آسيا عبر المحيط الهندي. ومن هنا اقترح الملازم الأميركي وليم فرانسيس لنش إرسال بعثة بحرية أمريكية للبحث عن طريق تجاري جديد يربط سواحل البحر المتوسط عبر فلسطين. وكان هذا الملازم صاحب خبرة في اجتياز المسالك الصعبة نتيجة لمشاركته في الحرب الأميركية المكسيكية. وإضافة لهذا الدافع التجاري، كان هناك حافز ديني، تمثل بالبحث عن مدينتي "سدوم" و "عمورة" اللتين خسفهما الرب، حيث تحولت زوجة لوط إلى عمود من الملح.

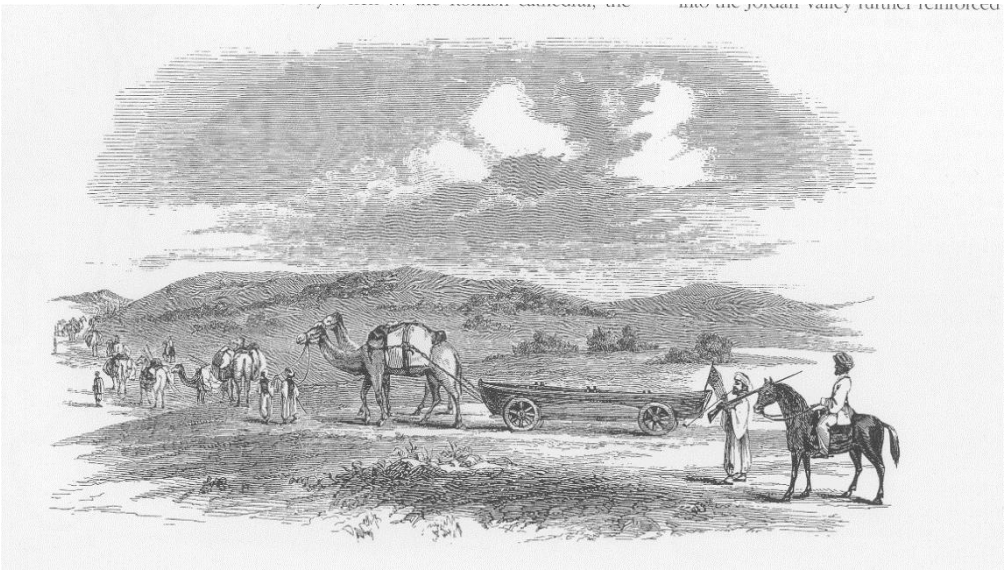

شكل 1: رسم يبين جر الجمال لقارب للوصول إلى بحيرة طبرية (Rook 1998: 15)

وافقت السلطات الحربية الأميركية على مشروع لنش يوم 1847/7/31م بعد أن حددت له مهامه، ومنها الإشراف على بناء قاربين من المعدن (أحدهما من النحاس والثاني من الحديد المصفح) لعبور البحر الميت، وقد شُحنت لوازم الحملة كلها من أشخاص ومعدات على ظهر سفينة تحمل اسم "الصليبية Crusader". ولتسهيل جرهما برًا طلب لنش بناء عربات لتحميل القوارب عليها لتقطع المسافة بين سواحل البحر المتوسط وبحيرة طبرية وجرها بالخيول، وطلب تزويده ببحارة أميركيين أقوياء للإبحار بالقوارب. كما حصل لنش في عام 1848م على فرمان سلطاني سمح للبعثة بإتمام المهام الموكلة إليها. وبعد وصول الباخرة الأميركية التي تغير اسمها من "الصليبية" إلى "سابلاي" إلى حيفا، رست وأفرغت حمولتها هناك، حيث جُمعت قطع القاربين، وجيء بالجياد المطلوبة من مدينة عكا. لكن وبعد أن رُبط القاربان بالخيول لم تقو هذه على سحبها، فاستُبدلت بالجمال التي نجحت في سحب القوارب إلى سواحل بحيرة طبرية (شكل 1). كما حاز لنش حماية البدو سكان المنطقة المحيطة بوادي الأردن والبحر الميت "بنو صخر".

وبعد أن جهز أفراد البعثة معدات المساحة وقياس الضغط الجوي وضبطها حسب الأصول، قرر لنش تشكيل فريقين: الأول يسير في البر، يحمل المؤن والأسلحة، والثاني مكون من القاربين، يسير في نهر الأردن والبحر الميت. ولتخفيف الحمولة عن القاربين أيضًا، اشتري قارب صيد من الصيادين المحليين (Rook 1998: 16-23).

وأخذ أعضاء البعثة أثناء سيرها في البر والنهر عينات نباتية وجيولوجية، ورسموا خرائط لمجرى النهر، أوضحت أنه يصعب استخدام نهر الأردن طريقًا تجاريًا لسرعة انحداره، وكثرة تعرجاته وتغيير مجراه وضحولة مياهه في بعض الأماكن. كما أبحر لنش ورجاله بمحاذاة الشاطئ الغربي للبحر الميت مستطلعًا هذه المنطقة، ومسجلًا أنواع النباتات وينابيع المياه العذبة الموجودة هناك، وعزز تقريره برسومات يدوية وخرائط المسجل عليها أبعاد وقياسات لنهر الأردن والبحر الميت (شكل 1)(Rook 1998: 18-19) .

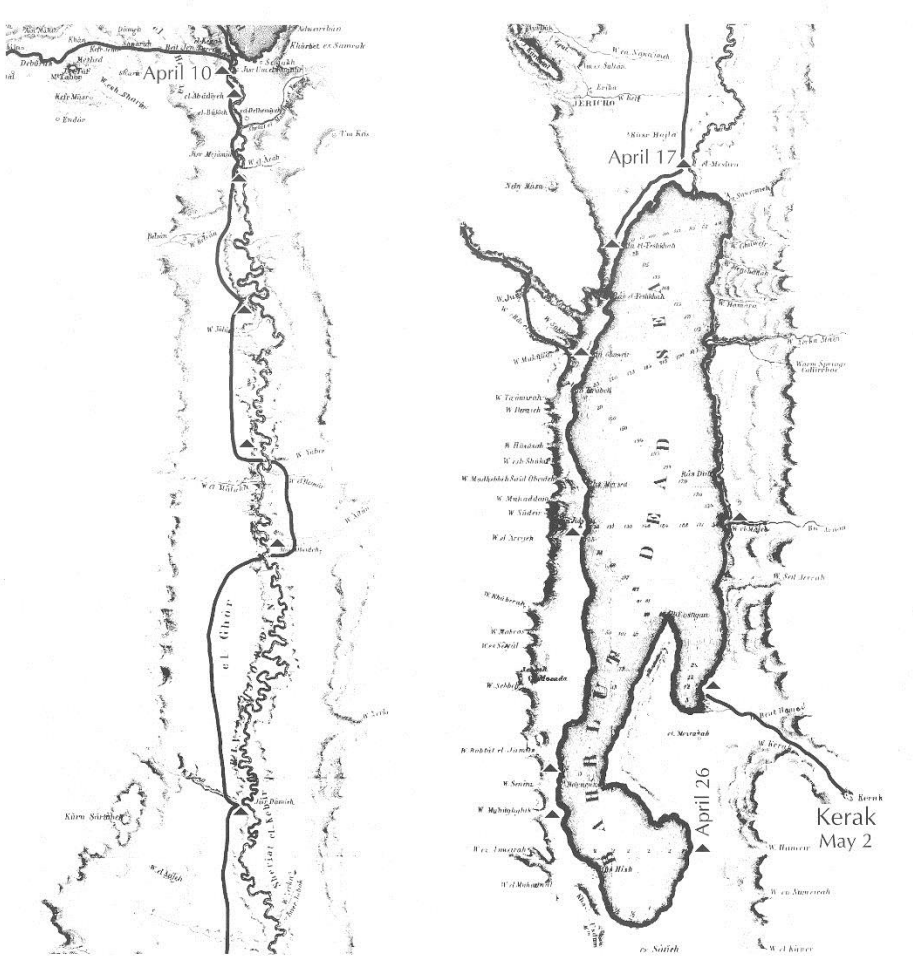

شكل 2: خارطة لمجرى نهر الأردن وللبحر الميت من رسم بعثة لنش (Rook 1998: 16)

وعلى الرغم من فشل لنش وبعثته في ما جاءا لتحقيقه، إلا أننا نستطيع القول إن التقرير الذي نتج عن هذه الرحلة قد زودنا بقدر كبير من المعلومات المهمة عن نهر الأردن والبحر الميت ومحيطهما المباشر (شكل 2). لكنهم وقبل أن يغادروا البحر زرعوا فيه علمًا أميركيًا، واستكشفوا آثارًا في المنطقة المجاورة لجنوبي البحر الميت ادعوا أنها بقايا مدنتي "سدوم" و "عموره" (سلبرمن 2005: 103). وهذا الربط بين المنطقة وروايات الكتاب المقدس أثار المزيد من الاهتمام الأميركي بالمنطقة، وحفز إلى قدوم موجة جديدة من الرحالة الأميركيين للمنطقة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين.

ج. المرحلة بين تأسيس المدارس والمعاهد الأثرية الغربية وتأسيس إمارة شرقي الأردن (1865–1921م):

رأينا في أعلاه أن النصف الأول من القرن التاسع عشر اقتصر على عدد من الرحلات للرحالة الغربيين، كتبوا عنها تقارير وصفت المواقع التي زاروها. وكشفت هذه الرحلات عن وثائق مكتوبة وآثار حاول الرحالة مطابقتها مع الأخبار التوراتية؛ إذ كانت القصص التوراتية هي المصدر الوحيد لمعلومات الغربيين عن الأرض المقدَّسة. ويبدو أن هذه

المكتشفات الأثرية والنقوش القديمة دعت الغربيين إلى تنظيم أعمالهم بشكل مؤسسي، وبناء عليه تأسست أول جمعية غربية تعنى بدراسة الآثار واستخدامها كوسيلة لإثبات صحة ما جاء في التوراة، فكان تأسيس "جمعية صندوق اكتشاف فلسطين Palestine Exploration Fund Society" عام 1860م. وأُنشئت على غرارها إنشاء جمعيات ومدارس في أوروبا وأميركا، مثل، الجمعية الأمريكية لاكتشاف فلسطين American Palestine Exploration Society عام 1870م، والتي لم تعمر طويلًا لأنها لم تحظ بالدعم الكافي من قبل الأميركيين، وكذلك المدرسة الفرنسية للدراسات التوراتية L'Ecole Pratique d'Etudes Bibliques، والتي أسسها الرهبان الدومينيكان في مدينة سانت–إتيان بفرنسا عام 1892م، وأخيرًا الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية Deutsch Orient-Gesellschaft التي تأسست عام 1898م. ونظرًا لفشل الجمعية الأميركية لاكتشاف فلسطين، أسس الأميركيون عام 1900م المدارس الأميركية للأبحاث الشرقية American Schools of Oriental Research. وقد أعلن مؤسسو هذه الجمعيات والمدارس نواياهم وأهدافهم من تأسيسها، وهو تشجيع دراسة وتدريس الكتاب المقدس، وتوسيع حدود المعرفة به وبجغرافية وتاريخ وآثار ولغات بلدان الشام ومصر والعراق من أجل إثبات صحة ما جاء في التوراة. وبناء عليه، حددت هذه الجمعيات للرحالة والمنقبين المواقع والأماكن التي يجب زيارتها والتنقيب فيها، فنقب، على سبيل المثال، الضابط الإنجليزي تشارلز وارن (Charles Warren) عام 1867م عن الجزء الملاصق للمسجد الأقصى (كفافي 2004: 30 –32)، كما زار منطقة شرقي نهر الأردن خلال شهري تموز وآب من عام 1867م، وجاء تقريره معززًا بالصور (علمًا أنها غير منشورة في تقريره)، وعلى شكل مذكرات يومية، وذكر الآثار دون وصف كامل (Warren 1870: 284-305). ومن المواقع التي ذكرها تقريره موقع "عراق الأمير" بالقرب من وادي السير، مبيِّنًا أبعاد القصر هناك، ومنطقة وادي حسبان، وتل حسبان، ومناطق الشونة الجنوبية، ووادي ناعور، ووادي موسى، كما ذكر تل العميري، وخربة السوق، واليادودة، وزيزيا، والمقابلين، وجرش، ووادي شعيب، وعمان، التي ذكر جبالها وأوديتها ورجومها ومناطقها بالاسم لكن دون أن يصفها، لكنه ربما كان يقصد من عمله هذا رسم خارطة لهذه المواقع والآثار، كونه كان على معرفة باستخدام أدوات المساحة ورسم الخرائط، وللأسف لم نجد أي أثر لمثل هذه الخارطة (Warren 1870: 295-297).

وعلى الرغم من إنشاء المدارس والجمعيات الأثرية، لم تنقطع رحلات الرحالة الغربيين الفردية، بل وفي بعض الحالات نجد أن قناصل الدول الغربية يتدخلون في شراء ونهب آثار بلاد الشرق الأدن القديم. ونذكر من هؤلاء القنصل الفرنسي في القدس كليرمونت غانو (Clermont Ganneau)، الذي قام بعدة زيارات فردية للبلاد، بهدف الاطلاع على الآثار وجمع بعضها. وكان أهم ما اشتراه هذا القنصل من آثار هو نقش ميشع؛ إذ أعلن في تشرين أول (أكتوبر) من عام 1869م عن شرائه وشحنه إلى باريس في عام 1870م (Kafafi 2019: 631; Albright 1971: 27).

1. هنري بيكر ترتسترام (1822–1906م):

هنري بيكر ترتسترام خريج جامعة أوكسفورد، وهو قس إنجليزي، ودارس لاهوتي، ورحالة، وباحث في دراسة الطيور، وزميل في الجمعية الملكية الإنجليزية. وبما أنه عالم في الدراسات الطبيعية، فكان من الداعمين الأوائل لنظرية التطور التي أطلقها العالم "تشارلز داروين". كما حاول التوفيق بينها وبين فكرة الخليقة في بداية الأمر، لكنه وفي عام 1858م عاد وتراجع عن دعمه لهذه النظرية، أي تغلب معتقده الديني على فكره العلمي.

عمل في الفترة من سنة 1847م إلى سنة 1849م سكرتيرًا لحاكم بيرمودا "Bermuda"، وزار خلال السنوات 1858 و1863 و1872م فلسطين، درس خلالها طبيعة البلاد والتعريف، وسعى إلى التعرف إلى المواقع التي ذكرها

الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد). عُيِّن عام 1873م كاهنًا في كاتدرائية درهام الإنجليزية، كما ارتحل عام 1881م إلى فلسطين، ولبنان، والعراق، وأرمينيا. ويعدُّ تريسترام أحد مؤسسي "الاتحاد البريطاني للطيور British Ornithologists' Union" فعُيّن زميلًا للجمعية الملكية "Royal Society" عام 1868م. واصطحب في رحلاته خلال الفترة بين 1863 و 1864م إلى فلسطين عالم الطيور البريطاني "أبراهام دي بارتلت Abraham Dee Bartlett"، حيث كون مجموعة من جلود الطيور وأهداها لمتحف ليفربول العالمي.

قاد هنري بيكر ترتسترام بعثته التي انطلقت من بريطانيا في عام 1872م بتمويل من الجمعية البريطانية في أدنبره. ورافقه في رحلته هذه أشخاص مختصون في التصوير، والفلك، وعلم النبات، ومرافقون من القدس والشيخ سطام بن فندي الفايز، وأدلاء آخرون، واستغرقت الرحلة قرابة العام (تريسترام 2005: 7). وأما خط سير الرحلة، فبعد أن انطلقت من القدس مرت بغور الصافي، والكرك وقراها، وقرى شيحان، ثم وادي الموجب، فذيبان، وأم الرصاص، فزيزياء، فناعور، وحمامات ماعين، ومكاور، ووصلت شواطئ البحر الميت ومن هناك قفلت عائدة إلى القدس في طريقها إلى بريطانيا.

وخصص تريسترام الفصل الثالث من تقريره (2005: 61–74) لوصف منطقة غور الصافي من حيث جيولوجيتها والترسبات الجيرية الملحية فيها وطبيعة أرضها، وتعرضه ومن معه للهجوم فيها. ويذكر أيضًا أنه سجل في غور الصافي بعض بقايا لأعمدة ومبان أثرية لم يستطع تأريخها، ومنها قصر البَشَاريّة، والتي أشار عليه مرافقه بأنها كانت معاصر للسكر (وهذه تعود للفترة الأيوبية/المملوكية). ويضيف أنه عبر في هذه المنطقة مجموعة من الأودية، مثل، وادي فيفة، ووادي الطفيلة، ووادي الحسا. وذكر أن منطقة الصافي نفسه لم تكن تصلح للزراعة أو لحياة النبات فيها، لكنه رأى فيها طائر يسمى "القمّري" الغوّاص وهو طائر حجمه كبير. ولكنه شاهد أشجار الصفصاف وقليلًا من المزروعات على سفوح الجبال المطلة على الغور، يليها أراضي مزروعة بالقمح والشعير والذرة والدخان.

كما وصف في طريقه من غور الصافي إلى الكرك الأودية، وجيولوجية المنطقة التي مر بها وفريقه، وذكر أن الطرف الشرقي للبحر الميت يختلف جيولوجيًا عن طرفه الغربي، حيث توجد في منطقة مؤآب صخور نارية بازلتية، وصخور من الحجر الأحمر الرملي، وأكوام من الحجر الأخضر، وجلاميد ضخمة تحتضن حصى من الجرانيت (ترتسترام 2005: 78). ويضيف بأنه شاهد على أطراف الأودية أشجار الحور، والنخيل، والدفلى، وأشجارًا استوائية، ومن على بُعد طواحين السكر في غور المزرعة، وآثار الذراع. وشاهد وهو في طريقه من الذراع إلى الكرك قلعة صليبية تسمى "القبّة" وفيها قنطرة وكانت معقلًا لشخص نصراني.

وقدم تريسترام وصفًا دقيقًا للكرك وقلعتها، من حيث ارتفاعها عن سطح البحر والأودية المحيطة بها، وأكد أنه كان يصعب دخول المدينة إلا من مدخلين، أحدهما في الشمال والآخر في الجنوب. ويضيف بأن الجزء السفلي من جدار السور أقدم من الأجزاء العلوية منه والمؤرخة للفترة الإسلامية ولمرحلة احتلال الفرنجة للكرك، كما أن القاعدة السطحية المائلة تعود لفترة حكم الملك هدريان ملك الروم (تريسترام 2005: 90). وقدم معلومات عن برج أو قلعة الملك المملوكي الظاهر بيبرس، ووصف السراديب، والآبار، والأبراج، والأدراج الأخرى للقلعة، والكتابات المنقوشة عليها. ومن الآثار التي ذكرها بقايا مسجد يعتقد تريسترام أنه كان في الأصل كنيسة. ومن المهم أن تقريره تضمن وصفًا للبيت الكركي، فيقول: يُدخل إلى البيت الكركي عبر باب خفيض لا يزيد ارتفاعه على أربعة أقدام، وهو مقوس عادة، ومبني من الحجارة الصلبة. أما العتبة فضخمة مأخوذة عادة من حجارة بنايات قديمة. ويفتح الباب على ساحة قذرة، فيها حجارة

موضوع عليها روث البقر لكي يجف في الشمس ويصير جلّة، تستعمل للوقود، وهو الوقود الوحيد عندهم لانعدام الأشجار" (تريسترام 2005: 96–97). بالإضافة لهذا، فقد قدّر تريسترام عدد المواقع التي جمع معلومات طوبوغرافية عنها بستين موقعًا، يقع معظمها الى الجنوب من الكرك.

وبعد أن أنهى فريق تريسترام مسحه ودراسته لمنطقة جنوبي الكرك، غادر من خلال وادي الكرك باتجاه الشمال حتى وصل إلى قرى "قريطن"، والذي زعم أنه ربما يقابل اسم البلدة "كرياثيام" التوراتية المبنية على نظام الدوائر ذوات المركز الواحد التي تبنى فيه قلعة أو حصن دائري. وتحيط بالمدينة مصاطب زراعية أُقيمت على سفوح الجبال، كما أن هناك آبار محفورة في جوف الأرض (تريسترام 2005: 114). كما عثر على معصرة للعنب في موقع "خربة عزيزة"، مما يدل على زراعة كروم العنب في المنطقة. وسجل وجود عدد كبير من الآبار، بحيث كان يوجد بئر لكل بيت تقريبًا، وقال إن الكهوف كانت تُستخدم للسكنى، ووصف آثار الطريق الرومي. كما عرج الفريق على بلدة مؤتة وبئر وبلدة مدين. وبعد أن تركت البعثة الكرك توجهت إلى بلدة الربّة، ووصفها تريسترام بأنها بلدة إغريقية رومية (تريسترام 2005: 122).

وانطلق تريسترام من شيحان باتجاه ذيبان، حيث مضارب بني حميدة، واستقبله شيخها "ابن طريف" استقبالًا ودودًا، ورافقه في رحلته في دياره. وذكر في تقريره أنه رأى في طريقه بقايا الطريق الرومي، وأعمدة لقياس المسافات، ومعبدًا رومياً، وبرجًا مهدمًا وأطلالًا لخربة. وللأسف، ربط تريسترام هذه المنطقة بقوم ذكروا فقط في النصوص التوراتية، وهم "الزمزوميون"، واحتلها منهم العمونيين (تريسترام 2005: 133). كما وصف قصر الربة، وذكر أن سور هذا القصر أو الحصن مبني من حجارة مربعة الشكل، وبني في السور أعمدة لها تيجان كورنثية. ونستطيع القول أن تريسترام عندما كان يصف الأماكن والطرق التي مر بها، كان يرى فيها مواقع جرت فيها أحداث توراتية، حتى أنه أطلق عليها التسميات نفسها التي وردت في النصوص التوراتية. ومن بين هذه الأماكن كانت بلدة ذيبان، حيث بحث عن المكان الذي عُثر فيه على حجر نقش ميشع، وذكر أنه استطاع مشاهدة جبلي شيحان وعطاروز أثناء وقوفه على قمة تل ذيبان.

وفي طريقه لزيارة مضارب بني صخر وصف السهول الواسعة المزروعة بالكروم، وقال إن موقع "أم الرصاص" المحاط بسور وبرجه المرتفع أكثر المواقع الأثرية التي زارها اكتمالًا، وأقام فيه أسبوعًا كاملًا. وخلال إقامتهم هناك رسموا مخططًا للموقع ووصفوا الآثار فيه، خاصة الكنائس، وصفًا دقيقًا، وذكر بأن بعض الجدران قد رممت في فترة لاحقة لتاريخ بنائها. ورأى أن هذا الترميم المتقن تم خلال الفترة الإسلامية المبكرة. كما زار موقع "خان الزبيب"، ووصفه، ورأى أنه يمثل نموذجًا للعمارة الإسلامية في أيامها الأولى الزاهرة.

وفي تقريره عن منطقة زيزياء وبركتها وما حولها وصف تريسترام آثار وادي الثمد، ووادي الرميل، والزعفران، وقصر الحرانة، وأم الوليد، وأم قصير، وقنوات وبرك المياه في المنطقة. وأضاف بأنه شاهد بالقرب من زيزياء بناية إسلامية ما زالت بوابتها قائمة ويمكن قراءة كتابات كوفية على جدرانها، بالإضافة لصلبان منحوتة، وتيجان أعمدة، وطاحونة لعصر الزيتون، وكنيسة في الجهة الشرقية للمدينة (تريسترام 2005: 197– 210).

ويذكر أنه وفريقه انطلق يوم 27 شباط 1872م إلى شرقي زيزياء، حيث بدا له من على بُعد مبنى يطلق عليه سكان المنطقة العرب عدة مسميات: أم الشتاء، أو مشتّا، أو مشتى – أي مأوى عن الشتاء (تريسترام 2005: 214). ويصف روعة بناء القصر، ومخططه والزخارف المنحوتة على واجهته. كما ورأى في محيط هذا المبنى (قصر المشتى) سهولًا تمرح فيها قطعان من الغزلان، والثعالب، والجمال. وصور واجهات القصر، لكن الصور لم تنجح للأسف عدا واحدة منها، لكنهم نجحوا في أخذ قياسات المبنى.

انتقل تريسترام من قصر المشتى إلى القسطل، ورأى في طريقه أسرابًا من البط البري والطيور الأخرى ومنها الصقور. وذكر أن أبعاد قلعة القسطل تبلغ 30 X 20 ياردة، وزاوية البناء الشمالية–الغربية مبنية بشكل شبه دائري "ربما تكون برجًا" محاطة بأعمدة مستطيلة وأخرى مربعة الشكل، ولها بيت درج، وقدم وصفًا دقيقًا للمبنى، والذي يعتقد تريسترام (2005: 233–234) أنه كان في الأصل معبدًا. والتقط فريق العمل صورًا لمبنى القسطل. ومن القسطل ذهب إلى "جلول"، ووصفها بأنها تل منعزل تمامًا، يرتفع حوالي 300 قدم فوق السهول المحيطة به. كما زارت البعثة الاستكشافية حمامات زرقاء ماعين، ووصفها وصفًا كاملًا، بما في ذلك نباتاتها، لكنه، وللأسف، ربطها بالملك سليمان اعتمادًا على روايات السكان المحليين (تريسترام 2005: 259 –261).

وكان تريسترام قد خطط لزيارة قلعة "مكاور" التي صدت هجمات الروم ، حيث سجن النبي يحيى عليه السلام وأعدم، خاصة وأن واحدًا من الرحالة السابقين قد زاره. وتفقد الآبار في الموقع، فوجدها حوالي مائة بئر، كان أحدها ما يزال مليئًا بالمياه. وزار بعدها مع فريقه آثار "زارا"، وعطاروز، والمخيط. وللأسف، فإن تريسترام عرّف "زارا" على أنها مدينة "زارت شاهار" العبرية، والتي ولم يتبق منها سوى أعمدة بازلتية مكسرة وبقايا جدران وأسوار، ونسبها لقبيلة روبين (تريسترام 2005: 286).

حدثنا تريسترام في الفصل السادس عشر (الصفحات 297–319) من كتابه عن زيارته لربوع مادبا، وذكر حقول النصب الحجرية "الدولمنز" التي مر بها بالقرب من زرقاء ماعين. ووصف ثلاثة أنماط منها، وهي: الدوائر المبنية من الحجارة، ثم الدولمنز، ثم القبور، وهذه الصفات تنطبق جميعها على حقل المريغات وحقول أخرى في جنوب ماعين. ويضيف بأن تلال ماعين كثيرة الأطلال والآثار، وقال إن اسم "ماعين" مشتق من الاسم "بعل معون" (تريسترام 2005: 301). وللأسف، فإن تريسترام أسمى المواقع التي مر بها في رحلته بمنطقة مادبا بأسماء توراتية، وكأنه كان يحمل التوراة بيده. ووصف في الصفحات 305– 309 مدينة مادبا وآثارها وطبيعتها؛ إذ أمضى فيها أربعة أيام.

ووصف تريسترام في الفصل السابع عشر (321–343) المنطقة الممتدة بين مادبا وحسبان بأنها تطل على البحر الميت، ويمر بها خمسة أو ستة أودية، من أهمها أودية حسبان، وناعور، ونمرين، وتنتشر المواقع الأثرية على ضفافها. وذكر في تقريره أسماء الطيور والحيوانات التي شاهدها في المنطقة، مثل الحجل، والحمام، والغربان، والنسور، والثعالب، والذئاب. وسجل أعدادًا كبيرة من الدولمنز في المنطقة الممتدة بين جبل نبو ووادي جديد. وزار جبل نبو، وصياغة، وحسبان أكثر من مرة. وسجل أثناء رحلته في المنطقة موقع "الزّيرة/الزارة"، وفيه بئر واسعة، وبني في الجانب الشرقي منه حصن يرتبط به معبد قديم، لا تزال أعمدته موجودة في المكان (تريسترام 2005: 326–327). وحاول من خلال المقاربة اللغوية بين اسم الموقع "زعارة" والاسم التوراتي "زوعار Zo'ar" مطابقتها مع المدن المخسوفة. ومن هنا نستطيع الافتراض بأن المنقب الأميركي ستيفن كولينز (Steven Colins) الذي نقب عن موقع تل الحمَّام في السنوات الماضية قد استمد فرضيته التي تدعي بأن الموقع هو واحد من هذه المدن، استند إلى رأي تريسترام ورحالة آخرين، من أمثال كوندر (تريسترام 2005: 329–331).

وأضاف تريسترام بأنه زار موقع حسبان أكثر من مرة، لأن اسمه تردد في النصوص القديمة، وذكر أنه شاهد بقايا أسوار في الجهة الغربية من التل الذي بنيت فوقه قلعة مربعة الشكل، ورأى طريقًا مقنطرًا يربطه بمعبد قديم قائم على قمة التل. كما وجد عند أسفل الجهة الشرقية من التل بئر واسعة (خزان مياه) يطلق عليه السكان "برك السمك". وقد

التقط مصور الفريق صورًا للموقع والمنطقة. ومن المعلوم أن بعثة أميركية من جامعة سانت أندروز (Saint Andrews)قد نقبت في تل حسبان، اعتبارًا من عام 1969م، ولعدد كبير من المواسم، ولم تعثر فيه على أية بقايا توراتية.

وفي ختام رحلته، قرر تريسترام أن يسلك في طريقه إلى القدس طريق وادي حسبان للبحث فيه عن مواقع أثرية، ولاستطلاع سهول السيسبان. ومن المواقع والأماكن الأثرية التي سجلها "قلعة سوميا Sumia" على الضفة الجنوبية من الوادي، وهي مبنية من الحجارة وتستند على سور قديم، حيث نبع للماء بنيت عنده طاحونة. ولم ينس تريسترام تسجيل أسماء الطيور (الصقور والنسور)، والنباتات (القصيب والنخيل)، ووجود السمك. وذكر بأن أهل المنطقة قد اطلقوا اسم "المصلوبية" على المنطقة بين وادي جديد وعيون موسى غربي نبو، و"المشقر" على المنطقة بين وادي موسى وحسبان، و"زبّود" على المنطقة بين حسبان وناعور (تريسترام 2005: 347). وشاهد في السهل المفتوح بين الجبال والأغوار حقول الدولمنز "النصب الحجرية".

ومن الملاحظ أن رحلة تريسترام ركزت بحثها عن آثار ومواقع لها علاقة بما ورد في النصوص التوراتية، وعلى دراسة المظاهر الطبيعية، والجيولوجية، والبقايا النباتية والحيوانية أكثر من اهتمامها بدراسة طبيعة الحياة. والقارئ لكتاب تريسترام المعنون "رحلات في شرق الأردن أرض مؤآب، رحلات واكتشافات في الأردن والجانب الشرقي للبحر الميت" يستنبط أنه وأعضاء فريقه أرادوا من رحلتهم هذه تتبع خطى بني إسرائيل في المنطقة حسب الوصف التوراتي، فوصفوا الطبيعة، والغطائين النباتي والحيواني (تريسترام 2005: 356)، وسكانها من العرب. هذا المنهج الذي اتبعه تريسترام هو الذي اخطته الجمعيات والمدارس الأجنبية لإثبات صحة ما جاء في التوراة. ويمكننا القول إن الملحقين اللذين كتبهما كل من جيمس غيرغسون عن قصر المشتى (الصفحات 367 – 386) ور. س. جونسون عن الظواهر الطبيعية (الصفحات 387– 390)، وأمهيرست هايني عن نباتات، وأشجار، وأزهار مؤآب (الصفحات 391–403) أكبر دليل على ذلك.

وتحدث عن معاملة القبائل والعشائر له في الكرك وذيبان والبلقاء، وأشاد بحسن المعاملة التي لقيها من الشيخ "سطام الفايز"، شيخ بني صخر. لكن، وكما قال مترجم الكتاب الدكتور أحمد عويدي العبادي في تعليقه على ما ذكره تريسترام، "ينطبق على هذا الرحالة احترنا يا قرعا من أين نبوسك؟ فإذا قدم له الأردنيون الاحترام كره منهم ذلك، إن عملوا على ابتزازه كالعجوز المجالي كره ذلك، إن احترموه فسّر ذلك لطلب البخشيش، وإن تواضعوا معه اعتبر ذلك ذلّة واستجداء، وإن ابتعدوا عن دخول خيمته قال فيهم أنهم ينتظرون المال، وإن دخلوا الخيمة كالعدوان شعر بالمضايقة" (تريسترام 2005 : 363). ونؤيد العبادي في وصفه بأنه جاء وأمثاله وقلوبهم مليئة بالحقد على العرب والمسلمين.

سجل تريسترام في تقريره أسماء الأماكن والمظاهر التي رأى أنها مطابقة لتلك التي ذكرتها التوراة، مثل "زغر"؛ إذ ينقل عن قاموس الإنجيل – زغر"من المحتمل جداً بأن زغورا كانت شمال البحر الميت، وأنها لا تبعد كثيراً عن نهايته، وأنها على موازاة أريحا" (تريسترام 2005: 331) . ومن الواضح أن تريسترام حاول أن يربط مسميات المواقع والأماكن التي زارها بالمذكورة في التوراة. وأجرت البعثة أعمال القياس والرسم والتصوير لكثير من أطلال الكرك وخرائبها، وضم التقرير عددًا منها. كما أنه استخدم في كتابة تقريره مصطلح "Saracanes"، وهو مصطلح مهين للعرب، ويعني اللصوص أو عبيد ساره (العبادي في تريسترام 2005: 87).

2. سيلاه ميريل (2/ 5/ 1837–1/22/ 1909م)

أرسلت المؤسسات والمدارس الأثرية رحالة دون القيام بأية حفريات أثرية، ومن هؤلاء نذكر، سيلاه ميريل (Selah Merrill) الأميركي، والذي زار البلاد في الفترة بين 1874 و1877م، وقدم تقريرًا وافيًا عن طبيعة البلاد والآثار والعباد (ميريل 2010). ولد سيلاه ميريل في ولاية كونكتيكت (Connecticut)الأميريكية لأسرة تنحدر من أصول بريطانية، أكمل دراسته في مدارس ولاية ماساشوستس (Massachusetts)، ثم درس في جامعة ييل (Yale University) دون أن يتخرج منها. تابع دراسته في علوم اللاهوت في (New Haven Theological Seminary)، وتخرج منها عام 1863م. بعد تخرجه، وفي عام 1864م، عمل في رسامة الكنيسة المجمعية في (Feeding Mills) في ماساشوستس. التحق ميريل في الفترة 1868–1870م بجامعة برلين (University of Berlin)، حيث درس العبرية القديمة. خدم قسيسًا في فرقة المشاة الملونة الأميركية 49، وفي فوج المشاة في منطقة المسيسبي ابتداء من عام 1864م، وحتى انتهاء الحرب الأهلية الأميركية.

أقام في الفترة 1874–1877م في فلسطين، حيث عمل آثاريًا في خدمة الجمعية الأميركية لاكتشاف فلسطين (American Palestine Exploration Society)، ونقب في القدس بحثًا عن منطقة الجلجلة، حيث يعتقد أن السيد المسيح صُلب. لكنه عمل بعد هذا، خلال السنوات 1882–1885م، و 1891–1893م، و 1898–1907م قنصلًا للولايات المتحدة الأميركية في القدس. وكان أثناء ذلك خصمًا قويًا لإقامة المستعمرة الأميركية في القدس، وسعى جاهدًا إلى تفكيكها. كما ناهض قيام المستعمرات اليهودية الزراعية في فلسطين، وكان له أثر كبير في تعديل قرار الخارجية الأميركية ورؤيتها لهذا الأمر. وبناء على هذا، اتُهم ميريل بمعاداة السامية، وأنه ضد إقامة دولة يهودية في فلسطين. وعُين عام 1907م قنصلًا أميركيًا في جورج تاون/ غويانا (Georgetown, Guiana). من هنا يمكننا وصف سيلاه ميريل بأنه رجل دين وسياسي؛ إذ درس ودرّس علوم اللاهوت، وعمل قنصلًا أميركيًا. كما ألف ميريل عددًا من الكتب نذكر منها:

1. Merrill, Selah 1881; **East of the Jordan**. First Edition. 1883 (second Edition).

1. ميريل، سيلاه 1881، شرق الأردن. الطبعة الأولى. 1883 (الطبعة الثانية).

ويعدّ هذا الكتاب سجلًا لرحلاته وملاحظاته للمناطق التي زارها شرقي نهر الأردن وحوران، وهي معززة بالرسومات والصور والمخططات، وتُرجم إلى العربية كما يظهر العنوان في أدناه:

ميريل، سيلاه 2010؛ **شرق الأردن. سجل رحلات وملاحظات في بلاد مؤآب وجلعاد وباشان**. ترجمة محمد رفيق النجار. عمّن: الأهلية للنشر والتوزيع.

2. Merrill, Selah 1908; **Ancient Jerusalem.** New York, Chicago: Fleming H. Revell Company.

2. ميريل، **سيلاه 1908، القدس القديمة**. نيويورك، شيكاغو: فلمنغ. شركة ريفل.

والقارئ لكتاب "شرق الأردن" يلاحظ أن مقدمة الطبعة الأولى (عام1881م) كتبها روزويل هيتشكوك من المعهد اللاهوتي في نيويورك؛ إذ إن سيلاه ميريل كان عالمًا لاهوتيًا أميركيًا، وعضوًا في الجمعية الأميركية لاستكشاف فلسطين. وكتب الكتاب على شكل مذكرات يومية، فبدأ يوم الاثنين الموافق 23/ آب/ 1875م، وكانت البلاد تعاني من تفشي مرض الكوليرا. ويتحدث عن حوران، وكأنها جزء من شرقي الأردن (منطقة درعا وبصرى وقنوات)، وعن الأحوال

الاقتصادية واصفًا الاستيراد والتصدير من ميناء بيروت، وعلاقات المنطقة الاقتصادية مع أوروبا وأميركا، والمساعدات التي تلقتها البعثة من القنصلية الأمريكية والبروتستانت في بيروت.

يقدم **الفصل الأول** من الكتاب معلومات وافية عن الغطائين النباتي والحيواني في وادي الأردن خلال نهاية القرن التاسع عشر. أما **الفصل الثاني** وعنوانه "بين مدن باشان" (حوران) فيتحدث عن منطقة اللجا في حوران، وفيه وصف للحمم والصخور البركانية في المنطقة. ويذكر وجود عدد كبير من الكهوف التي كانت ملجأ للصوص، ووجود عدد كبير من الأبراج، ومعبد رومي اسمه "معبد مسميّة" وقصر في منطقة اللجا ويصفهما، ويذكر أن هناك كتابات على واجهات المعبد.

يركز **الفصل الثالث** وعنوانه "**بين مدن باشان–تكملة**" على دراسة البقايا المسيحية في منطقة حوران وتوثيقها، مثل، مدينة خباب ووصول الإرساليات المسيحية التبشيرية، وكان معظم المبشرين من الطائفة البروتستنتية. ويذكر في هذا الفصل كيف أن سكان هذه المنطقة كانوا يخفون المحاصيل في حفر محفورة في الأرض خوفًا من الجيش العثماني. وعند زيارته لمدينة "درعا" الحالية حاول مقابلتها مع الموقع التوراتي "إدري"(ميريل 2010: 42–43).

أما **الفصل الرابع** وعنوانه نفس عنوان الفصل الثالث "**بين مدن باشان–تكملة**" فيتحدث فيه عن منطقة "صياع"، وهي حي من أحياء "قنوات"، ويذكر في الصفحة 59 من الكتاب المترجم وجود نقوش وكتابات في صياع تدل على حكم الملك "هيرود"، ونقش على تمثال للملك هيرود، ويقول إنه أمل في ترميم التمثال لنقله إلى متحف اللوفر لإغناء مجموعات المتحف بهذا الأثر الفريد. كما ويضيف على الصفحة 65 من نفس الكتاب معلومات عن موقع صلخد وما فيه من نقوش آرامية، وبقايا نبطية، لكنه يؤشر في نهاية الكلام إلى أن له اسمًا توراتياً هو "صلشاه" (ميريل 2010: 65)، وأن المكان كان من أهم مدن مملكة "عوج" المذكورة في التوراة. ويصبغ ميريل على المباني المكتشفة في منطقة حوران الصبغة اليونانية، ونقتبس قوله المترجم للعربية "وتوجد هنا جميع طرز العمارة اليونانية القديمة جدًا–الأيونية، الدورية، والكورنثية، والمركبة، وبعض النماذج الجميلة جدًا للأعمال المنحوتة في منطقة حوران موجودة بين هذه الآثار" (ميريل 2010:58).

ويتحدث ميريل **في الفصل الخامس** عن العمارة المسيحية المبكرة في حوران بشكل خاص، ويذكر أن بناءها كان من الحجارة، لكنها تظهر براعة وتنوعًا في عمارتها، ويرى أن القناطر والقباب وثنية الأصل تحولت إلى مسيحية. لكنه يضيف في الصفحة 85 أن الكنائس المبكرة في حوران بنيت على حسب مخططات المعابد اليونانية–الرومية في بادئ الأمر، لكنها بنيت في الفترات اللاحقة، خاصة الكاتدرائيات في بصرى وأزرع، على الطراز والمخطط البازيليكي.

كما وتحدث ميريل في هذا الفصل عن الصراع بين البدو والفلاحين، وتأثيره على تراجع الزراعة والفلاحة في المنطقة. وبرأينا أن السبب الأساس في تراجع الفلاحة كان هو الضريبة العثمانية وليس الغزوات المتبادلة القليلة بين سكان المنطقة.

خصص ميريل **الفصل السادس** لزيارته لموقع "أم الجمال"، فذكر أنه كان يقطن في المنطقة قبائل عربية في حالة اضطراب وثورة وسرقات كبيرة. وأضاف أن الموقع لم يكن مسورًا، وأن هناك منازل مكونة من ثلاثة طوابق، وبوابات وقناطر، وشوارع عريضة، وصهاريج، وفخاريات سوداء اللون، وبقايا معسكر رومي، وكنائس وأديرة، ونقوش. وذكر نقل القبائل البدوية لحجارة الأبنية القديمة على ظهور الجمال، وأن بعضها كان عليه نقوش وكتابات.

ويذكر في **الفصل السابع** أنه قدم إلى مدينة السلط يوم الثلاثاء الموافق 12/ 10/ 1875م، وأنه رأى في المدينة

بقايا آثار قديمة، منها مدرسة إرسالية كنيسة إنكلترا/ اليسوعية، ولحظ استخدام الحجارة القديمة المنقوشة شواهدَ قبور إسلامية. كما وصف في هذا الفصل زيارته لمنطقة جبل الشيخ، حيث رأى في بلدة "تلثاثا" معبدًا يونانيًا (ميريل 2010: 106).

أما **الفصل الثامن** فوصف فيه شح المياه في المنطقة، وأضيف بأنه وأثناء ذهابه من السلط إلى القدس لاحظ أن سكان ضفتي نهر الأردن هم من العرب. وذكر في هذا الفصل زيارته لعدد من المواقع الأردنية، أهمها: السلط، وحسبان، وعراق الأمير. ووصف فيه موقع "عراق الأمير" وصفًا مفصلًا ، ذاكرًا عددًا من المظاهر الأثرية فيه، مثل، قصر "هيركانوس"، وكهوفًا، وشقوق واسعة في الصخر، وخزان ماء كبيرًا. وهذا الكلام في وصف المنطقة يتناسب، في رأيه، مع ما قاله "جوزيفوس"، وطالب بضرورة إجراء حفريات أثرية في المكان.

وتحدث ميريل في الفصلين **التاسع والعاشر** عن إقامته في بيروت وتسجيله آثار فينيقية، مثل، تابوت الملك الفينيقي "أحيرام"، وتابوت الملك "إشمون–عازر" الذي اكتُشف عام 1855م. كما وذكر أن معظم الناس في منطقة بحيرة طبرية (بحر الجليل) قد سكنوا في كهوف. كما زار وادي الحمه وأم قيس، ووصف الطيور وأنواعها وحياة الناس في المنطقة.

وقدم في الفصول **الحادي عشر وحتى الثالث عشر** وصفًا لمنطقة بحيرة طبرية، والحمة بحماماتها المعدنية، وأم قيس بآثارها، والطريق الروماني، والطواحين التي تدار بالمياه الحارة، ومدينة أفيق "فيق" والتي يعتقد أنها مدينة "هيبوس" وهي إحدى مدن الديكابوليس العشر (ميريل 2010: 178، 183). وقدم ميريل على الصفحات 161–173 وصفًا دقيقًا لآثار أم قيس (جدارا) معززًا بالصور والرسومات، وكذلك للمواقع الأخرى الواقعة على مجرى نهر اليرموك الذي أسماه "المنادرة" (ميريل 2010: 161). ولا أدري كيف يوصف ميريل بالعداء للسامية، وهو الذي شجع اليهود على الاستيطان في المناطق المحيطة ببحيرة طبرية (ميريل 2010: 154). كما وعرج في وصفه للمنطقة على بلدة بيت راس وآثارها.

خصص ميريل الفصول من **الرابع عشر وحتى نهاية الثامن عشر** لدراسة سكان ومواقع وادي الأردن. وبدأ بوصف الطريق الواصل بين مقام الصحابي معاذ/ قرب الشونة الشمالية وبلدة "كوكب الهوى" على الضفة الغربية لنهر الأردن، وكذلك البدو الذين سكنوا الخيام، والطيور، والأعشاب، والمياه في شمال غور الأردن. ومن الآثار التي ذكرها تل الأربعين ووجود معصرة نبيذ (سكر)، وحمة أبو ذابلة، وطبقة فحل، ووادي اليابس، وهجيجة، وكركما، وحلاوة، وخرائب وقبور أخرى. كما يقول إن المنطقة كانت تسكنها قبيلة تركمانية وعرب الغزاوية. وذكر أنه خيَّم مع مرافقيه في وادي اليابس يوم الأحد الموافق 19/ 3/ 1876م. وذكر بأن المنطقة الواقعة بين نهر اليرموك ووادي اليابس كانت غنية بمصادر المياه الدائمة، مثل الينابيع والأودية (ميريل 2010: 195). كذلك قدم دراسة للعلاقات التي كانت قائمة بين سكان منطقة شمالي الغور، خاصة بين الغزاوية والغوارنة (كما ذكر) الذين سموا حسب الأرض التي يسكنونها، مثل، غوارنة طبرية وغوارنة نمرين (ميريل 2010: 201). وقال إن المحاصيل، خاصة الحبوب، كانت تُخزن في حفر بالقرب من مقامات الأولياء لحمايتها من السرقة.

انتقل سيلاه ميريل من وادي اليابس ليخيم في مدينة السلط يوم 18/ 3/ 1876م، لينطلق منها عبر وادي شعيب إلى نهر الزرقاء، ثم إلى غور الأردن. كما وصف منطقة عجلون، ووادي عجلون "كفرنجة"، ووادي راجب، وقال إنها كانت مزروعة بالحبوب وأشجار الغابات، وإنه رأى على ضفافهما خرائب آثار. وذكر نبعًا للمياه الحارة عند مصب نهر الزرقاء في وادي الأردن، وإن قناة شُقت في زمن إبراهيم باشا (1832–1840م) ربطت بين نهر الزرقاء وهذا النبع.

كما وجد قرب المنطقة تل أثري، قريب من دير علا اسمه "تل الحمة" (ميريل 2010: 209). ووصف تل دامية والمنطقة المحيطة به، وكيفية الانتقال إلى الضفة الغربية لنهر الأردن بواسطة جسر خَرِب، ويعتقد أن هذا المكان هو المكان المذكور في الكتب المصادر القديمة (في إشارة للكتاب المقدس) "منطقة آدم" والذي ارتبط بعبور الإسرائيليين للنهر (ميريل 2010: 215).

وكانت محطة سيلاه ميريل الثالثة في وادي نمرين، في منطقة وادي شعيب، المقابلة لمدينة أريحا. ووصف وقال إن منازل هذه المنطقة من القماش واللِبن، وأن الوادي كان جافًا، وأحاطت خرب كثيرة، إضافة لتل نمرين، وتل الرامة، وتل اِكْتَتُّو. وذكر ميريل أنه سجل أسماء جميع الأودية الواقعة بين واديي الزرقاء ونمرين. وأضاف بأنه مر بتل الحمَّام، ووادي كفرين، ووادي حسبان، وشاهد أضرحة قديمة جدًا (لم يذكر أنها للصحابة). ومن الواضح أنه كان يبحث في هذه المنطقة عن المدن الغارقة في قاع البحر الميت (سدوم وجموره "عمورة" وأدماح، وزبيون) (ميريل 2010: 245). وبالإضافة لهذه المعلومات، سجل ملاحظات عن أنواع الطيور في المنطقة الواقعة بين تل نمرين وأريحا، وخاصة المنطقة القريبة من مصب نهر الأردن في البحر الميت.

وبعد انتهاء ميريل من رحلته في غور الأردن، انتقل إلى المرتفعات الجبلية الشرقية المطلة على الأغوار، وبدأ بمنطقة مادبا، لهذا خيّم في "عين حسبان"، حيث جمع عينات من متحجرات نباتية وحيوانية. ووصف السهول المحيطة بحسبان بأنها خصبة ومزروعة بالحبوب. وصعد إلى جبل نبو، معتقدًا أنه المكان الذي وقف فوقه النبي موسى ناظرًا الأرض الموعودة. وذكر أن خيام قبيلة بني صخر كانت على مرأى من هذا الجبل، كما هي آثار مادبا، وماعين، وزيزياء، وغيرها. وربط ميريل بين أسماء المواقع الموجودة في هذه المنطقة وأسماء أماكن مذكورة في الكتاب المقدس (ميريل 2010: 254). وذكر بأن المنطقة مليئة بالينابيع الحارة والأعمدة الحجرية البازلتية، ووصف آثار مادبا بأنها خرائب.

ووصف ميريل في **الفصل العشرين** من كتابه قصر المشتى وأسماه "ماشيتا"، ورسم مخططًا له، وأضاف مجموعة من الصور. ومن المعلوم أن الرحالة "تريسترام" قد كان زار هذا القصر عام 1872م، وكتب عنه في كتابه "أرض مؤآب"، وظن أنه فارسي وبني في عهد الملك الساساني كسرى الثاني (590–628 م). (ميريل 2010: 263–271). كما زار عمّان ووصف مسارحها وآثار جبل القلعة فيها.

وفي الفصول **الحادي والعشرين وحتى نهاية الثاني والعشرين** تحدث عن المنطقة التي يسميها "جلعاد"، وهي تمتد بين السلط في البلقاء ونهر اليرموك، وقدم وصفًا تفصيليًا لخربة ياجوز، لآثار جرش، ومدن الديكابوليس، بما في ذلك إربد، وإيدون، وبيت راس. وجاءت شروحاته مدعمة بالصور والرسومات. وللأسف، فقد اعترف ميريل في حديثة عند زيارته لموقع بيت راس أنه رأى الكثير من الحجارة عليها كتابات، واحد منها نبطي فلم ينسخه، لأن اهتمامه كان منصبًا فقط على جمع النقوش اليونانية واللاتينية (ميريل 2010: 301).

ووصف في **الفصل الثالث والعشرين** عودته إلى بيروت عن طريق بحيرة الحولة، ليقابل القس وليام تومبسون شخصًا بتاريخ 1876/5/6م الذي كان يحمل تقريرًا أو رسالة إلى رئيس اللجنة الاستشارية لجمعية استكشاف فلسطين.

وكرس ميريل الفصول **الرابع والعشرين وحتى نهاية السابع والعشرين** للحديث عن منطقة الجولان، وقوافل الحجيج، ومنطقة مدينة درعا. لكنه عاد في الفصل **الثامن والعشرين** للحديث عن قلعة عجلون، ووصفها والمناطق المحيطة بها وصفًا دقيقًا. وللأسف، فقد رأى ميريل في قلعة عجلون وجميع مدن جلعاد تراثًا لقبيلة جاد الاسرائيلية، بل ورسم حدودًا لممتلكاتهم (ميريل 2010: 368). وقدم في هذا الفصل تصورًا للمواقع والطبيعة التي كانت عليها المنطقة في الفترات

القديمة (اليهودية والمسيحية).

ووصف ميريل في الفصل **التاسع والعشرين** عدة مناطق، منها وادي اليابس، وعجلون، وطواحين القمح، والطريق من وادي راجب إلى تل عَمَّتا بالقرب من بلدة دير علا. كما تحدث عن العلاقة بين قبائل عبّاد، والعدوان، وبني صخر.

وتحدث في الفصل **الثلاثين** عن استكشافه لحوض نهر الزرقاء (الذي يسميه باسمه التوراتي جابوق/يابوق) للمرة الثانية أو الثالثة؛ إذ عدّه ذا أهمية كبرى من الناحية التوراتية، لأنه شهد أحداثًا تخص شخصيات توراتية، مثل يعقوب، وجدعون، وداود، والعمونيين. وأضاف أن حوض نهر الزرقاء شهد بناء قنوات ري كامل في المنطقة، تدل على مهارة هندسية فائقة، وبطبيعة الحال، ينسب بنائها لقبيلة جاد العبرية (ميريل 2010: 385). كما نجده يرسم خريطة للأحداث التوراتية بربطها بمواقع ذُكرت في التوراة، مثل، سكوث، زافون، زراثان، بنويل "تلول الذهب" (ميريل 2010: 385–391)، كما قدم وصفًا لعمان وللحياة البدوية فيها، لكنه لم يذكر الشركس عند حديثه عن عمّان في 26/ 3/ 1877م. وذكر عند زيارته لعمان ومكوثه لليلة في المدرج الروماني "أن العرب لا يملكون الوسائل لإعادة الماضي"، أي أنهم لا يهتمون بالآثار (ميريل 2010: 398).

وذكر ميريل في الفصل **الحادي والثلاثين** أن المناطق المحيطة بعمان كثيرة المواقع الأثرية، وأن عمّان هي ربة–عمون عاصمة العمونيين. وأضاف أن أبناء قبيلتي روبين وجاد قد سعوا لاحتلالها، علمًا أنها كانت المدينة الرئيسة في المنطقة.

وتحدث ميريل في الفصل **الثاني والثلاثين** عن حالة البلاد في شهر نيسان من عام 1877م، ووصف كيف سار من أريحا إلى القدس في حر الصيف، ومحاولته التواصل مع المسؤولين عنه في بيروت. وأهم ما ذكره عن الأردن في هذا الفصل رسالة من أحد شيوخ الكرك يدعو فيها القس روسويل هيتشكوك للزيارة. وأهم ما ذُكر في الفصل **الثالث والثلاثين** من كتاب ميريل أنه رسم وهو جالس على ظهر تل دامية مخططًا لمجرى نهر الزرقاء (ميريل 2010: 421).

ترك ميريل وجماعته تل دامية يوم 6/ 4/ 1877م باتجاه تل الأربعين في الشمال، مرورًا بمواقع أثرية، مثل تل دير علا، وتل المزار، وضريح أبو عبيدة، ووادي اليابس، وطبقة فحل (بيلا)، وكانت ولا زالت مسكونة من قبل عرب البلاونة ،لكن ميريل ربط في تقريره بين هذه الأماكن والقبائل العبرية وكذلك ما ذكر في العهد الجديد (الإنجيل).

وذكر ميريل في الفصل **الخامس والثلاثين** تلالًا في وادي الأردن، بضفتيه الشرقية والغربية، كان بعضها مدنًا قديمة، وقال إن سكان المناطق المحيطة بهذه التلال كانوا يعثرون على قطع أثرية فيها. وتحدث أيضًا عن رحلته من تل الأربعين إلى جسر المجامع، حيث رأى قطيعًا من الجمال تملكها قبيلة بني صخر، ويلتقي إلى الشمال من هذا المكان نهرا الأردن واليرموك. كما تحدث في هذا الفصل عن لجوء المسيحيين لطبقة فحل (بيلا).

وختم ميريل كتابه (الفصول 36–38) بالحديث عن حياة العرب في الصحراء. ومن أهم ما ورد فيها وصفه لبيت الشَعر، وخاصة بيت الشيخ، وحديثه عن عادة الثأر، وإكرام الضيف، وكيف يتصرف الضيف عندما ينزل على البدو، وتحدث عن أطفال البدو، وعن دور المرأة في المجتمع البدوي. ولم يفت ميريل الاعتراف بأن من أهداف الاستكشافات تحديد الأماكن الدينية، ووصف معاناة المستكشفين والرحالة من الأمراض.

ملاحظات على رحلة ميريل:

1. رحل إلى حوران وغور الأردن والمناطق الشرقية المطلة على حوض الأردن.
2. هدف من رحلته إلى دراسة البلاد، والعباد، والبقايا النباتية والحيوانية، ومصادر المياه، والآثار.

3. حاول في تفسيره لأسماء المواقع ربطها بالأحداث والروايات التوراتية، كما حاول ربط ومقاربة أسماء بعض الأماكن التي زارها بالمواقع والروايات التوراتية مثل، فيق في وادي اليرموك، وتل دامية عند ملتقى نهر الزرقاء بوادي الأردن "المنطقة التي عبر منها الإسرائيليون"، وتعريف مواقع في منطقة التقاء وادي شعيب بنهر الأردن بالمدن المخسوفة. واعتقد أن اسم "وادي فصايل" مشتق من كلمة "فسيليس"، وهو الاسم الذي أطلق على البلدة التي بناها هيرود الأكبر وأهداها لأخته سالومي.

4. لم يول الآثار الإسلامية اهتمامًا كبيرًا، مقارنة بالآثار التي لها علاقة بالتوراة المؤرخة للعصور الكلاسيكية.

5. حاول إحياء التراث اليوناني–الرومي على حساب الشرقي. فلم ينسب الآثار لأصحابها، كالعمونيين والمؤآبيين.

3. كلود ريجنير كندر Claude Reignier Conder (29/ 12/ 1848–16/2/ 1910م)

ولد كلود ريجنير كندر في بلدة شلتنهام (Cheltenham) في انجلترا. التحق بسلك الجندية الإنجليزية، ثم رحل مستكشفًا وآثاريًا. درس في جامعة لندن (University College London)، والتحق بالأكاديمية العسكرية (Royal Military Academy)، ورقي إلى رتبة ملازم عام 1870م. كما عمل في جهاز المخابرات البريطاني، كما عمل في الجيش البريطاني بمصر، وتعلم هناك اللغة العربية.

شكل "صندوق استكشاف فلسطين" بعثة لإجراء مسوحات أثرية وطوبوغرافية على ضفتي نهر الأردن بقيادته وبقيادة اللورد كيتشنر (H. H. Kitchener) (Conder 1885; Conder and Kitchener 1881a; 1881b; 1881c) في الفترة بين أعوام 1872–1874 و 1881–1882م. كما نشر كندر في عام 1889م كتابه المعنون:

The Survey of Eastern Palestine. Memories of the Topography, Orography, Hydrography, Archaeology, Etc. The Adwan Country. Vol. 1. London: The Committee of the Palestine Exploration Fund.

"مسح شرقي فلسطين. يوميات حول الطوبوغرافية وعلم الجبال والمياه والآثار، وغيرها. بلد العدوان، المجلد 1. لندن: لجنة صندوق اكتشاف فلسطين".

قدم فيه شرحًا وافيًا عن مسوحاته الأثرية والطوبوغرافية التي أجراها في شرقي نهر الأردن عام 1881م. ومن أهم ما يتضمنه هذا الكتاب معلومات وافية عن عمان والمناطق المجاورة لها، وعزز هذا الشرح برسومات ومخططات، من أهما خارطة كنتورية لجبل القلعة (شكل 3). وكما نقرأ في عنوان الكتاب، فإن منطقة عمّان والمناطق الأخرى التي زارها كانت تحت سيطرة قبيلة العدوان.

وذكر كندر في مقدمة الكتاب أنه مسوحاته استمرت ثلاثة أشهر (آب، وأيلول، وتشرين الأول) من عام 1881م، ورافقه فيها كل من الجنرال أ. م. مانتل (A.M. Mantel)، والسيد والسيدة ت. بلاك (Messers T. Black)، وأخيرًا ج. آرمسترونغ (G. Armstrong). وغطى الفريق مساحة قدرها 510 ميلًا مربعًا، سجل فيها 610 أسماء نقلها وكتبها كاتب البعثة ميخائيل قسطلي، ومعظمها أسماء جغرافية. كما أن الوصف للمواقع شُفع بصور ورسومات في الموقع وبقياسات دقيقة. وضم الكتاب قائمة بعناوين اللوحات التوضيحية (الصفحات vii- xi)، وقائمة بالصور (الصفحة xii). وقال المؤلف إنه واجه صعوبات ومعيقات أثناء عمله من إدارات الحكومة العثمانية في المناطق التي زارها، لعدم تفهمها لطبيعة ما يقوم به.

بدأ الكتاب بتعداد أسماء الأماكن التي زارها (الصفحات 1–2)، ومنها عبدون والعظيمة، ثم انتقل لأسماء الينابيع والآثار الموجودة في حوض نهر الزرقاء (الذي يسميه باسمه التوراتي "يابوق")، مثل عين غزال (الصفحة 5). ثم وصف

الينابيع والعيون الأخرى، مثل عين حسبان (الصفحات 3–16). وتحدث بعد ذلك عن حقول الدولمنز الموجودة قرب عين المنية، والتي كان السكان المحليون يسمونها (المناطير)، وبلغ عددها سبعة، ورُسمت في الكتاب (الصفحات 10–11).

انتقل كندر بعد وصفه لمناطق العيون والينابيع إلى وصف المواقع التي زارها (الصفحات 16–19)، وبدأ بموقع علعال الذي يبعد حوالي ميل (كيلومتر ونصف) عن موقع حسبان (الصفحات 16–17). ويعرّف علعال بأنها الموقع المذكور في التوراة (עלעלה Elealeh) (العدد 32: 37). ثم عرج على مواقع أخرى، مثل الصياغة، وقصر النويجيس، وعمان، وكفير أبو صربوط، والحجر المنصوب، وماعين. وخص الآثار الموجودة في عمان (ربة عمّون)، مثل الدولمنز، والكهوف، وجبل القلعة، والمدرج الرومي بوصف مسهب مشفوع بالرسومات والمخططات والصور (الصفحات 19–65). وفعل الأمر عينه عند زيارته لعراق الأمير الذي أسماه المؤرخ اليهودي جوزيفوس باسم (Tyrus)، وحاول تحوير الاسم إلى اللغة العبرية حيث تصبح (صور צור أو صير צ׳ר) فيكون اسمها مأخوذًا من اسم المدينة الفينيقية صور. كما وصف "قصر العبد" في الموقع، وذكر أن الذي بناه هو الكاهن "هيركانوس" الذي مات منتحرًا عام 176 قبل الميلاد، ثم عرج على وصف الكهوف المطلة على القصر، وأوضح وصفه بالرسومات والمخططات والصور (الصفحات 65–87).

ويبدو أن كندر هدف إلى التركيز على المواقع المذكورة في النصوص التوراتية، أو التي لها علاقة باليهود بالذات، فنجد أنه انتقل بعد زيارته لعراق الأمير إلى عيون موسى، مؤكدًا أنها هي الموقع التوراتي (Ashdoth Pisagh) المذكور في سفر التثنية 3: 17 (الصفحة 89). ويتحدث في الصفحة 91 عن موقع بيت زرع "زاره" (Jazer)، والذي عدّه نقطة حدودية فاصلة بين قبيلتي روبين وجاد حسب المرويات التوراتية (العدد 21: 32؛ 32: 1؛ يوشع 13: 25). كما رأى في الموقع معصرة نبيذ، إضافة لبقايا معمارية أخرى. وبعدها تحدث عن موقع الدير، وهو مبنى منحوت في الصخر، مكون من ثلاثة طوابق يقع بالقرب من بلدة وادي السير، ويسميه السكان "معلقة الدير"، وبالقرب من العين توجد طاحونة. ووصف الأبراج المنتشرة في عدد من الأماكن ، مثل دير غبار (الصفحات 94–96). ومن المواقع المهمة التي يذكرها على وادي نمرين موقعا "غربة" و"غروبة نمرين"، ويذكر أن الاسم الأول يعني جهة الغرب بينما الثاني اسم لشجيرات برية كثيفة تنمو في منطقة الغور (الصفحة 96)، وأجريت خلال خمسينات القرن العشرين حفريات أثرية بسيطة، أثبتت أن الموقع يعود للعصرين الحجري الحديث الفخاري والحجري النحاسي (حوالي 5500–3600 قبل الميلاد) (Mellaart 1956).

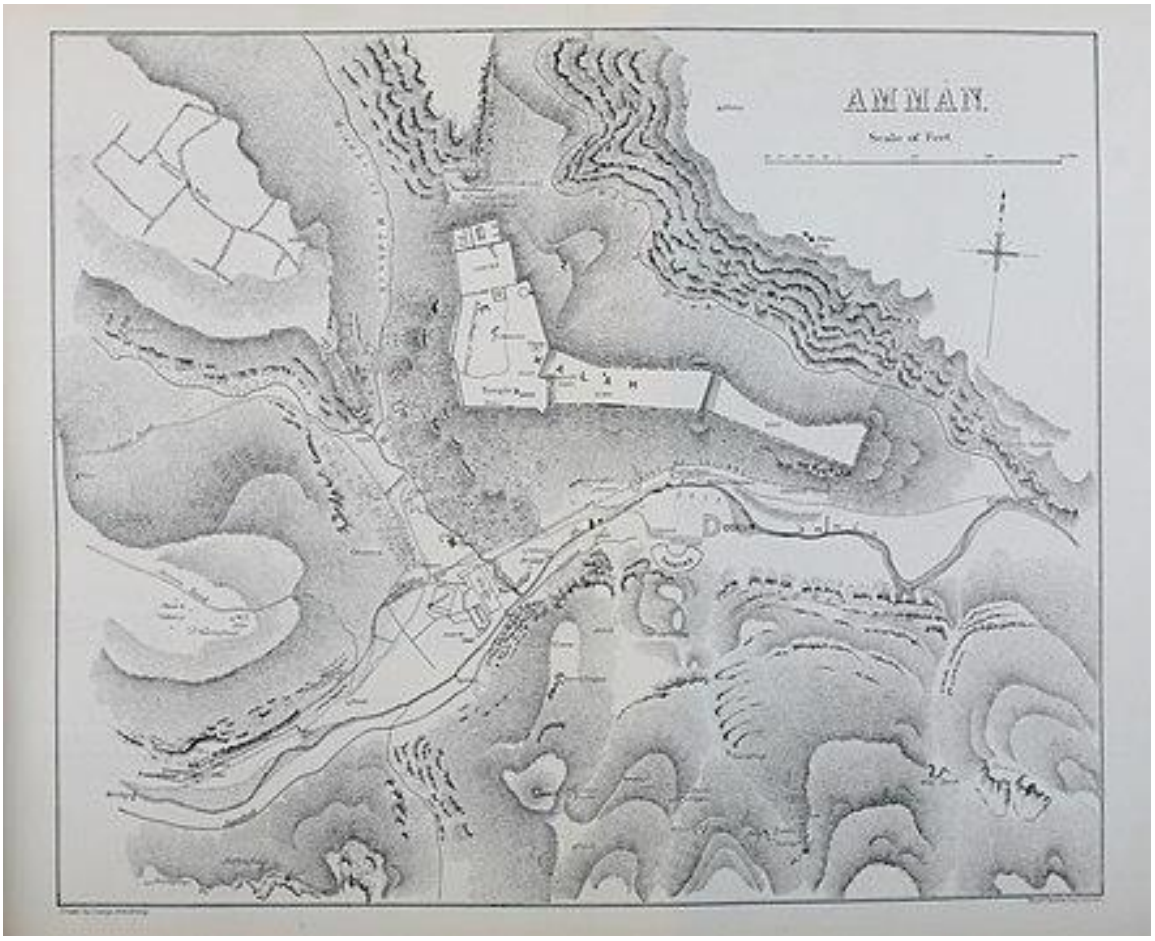

شكل 3: خارطة كنتورية لجبل القلعة، عمان من إعداد كندر

ويذكر عند حديثة عن وادي الحدادة بعمان وجود نصب حجري ساقط على الأرض، وبقايا خربة أثرية فيها كهوف كثيرة، وحوضان حجريان، وقبر، وبقايا برج مربع الشكل، وتابوت مكسور، والجزء السفلي من عمود (الصفحة 100)، وللأسف، لم يبق من هذه الآثار جميعها في الوقت الحالي سوى بعض الكهوف. كذلك زارت بعثة كندور المناطق المحيطة بمدينة عمان، مثل الجبيهة، والقويسمة، وجويدة المشيرفة، والجويّدة، وخريبة السوق (ذكر وجود معبد في الموقع، ورسم مخططًا له "الصفحات 141، 142") وعددًا من المقامات الإسلامية والقبور، ومنها قبر "فندي الفايز"، وكهف أهل الكهف، وجاءت هذه جميعها مشفوعة بالرسومات والمخططات (الصفحات 111–125). كما يذكر بأنه زار حقلًا للنصب الحجرية (الدولمنز) على ضفاف وادي حسبان بالقرب من سومية، ووصفها معززًا وصفه بالرسومات اليدوية (الصفحات 125–133).

ووصف كندر في الصفحات 104–108 موقع حسبان والآثار الموجودة فيه، ومن المعلوم أن بعثة أميركية من جامعة أندروز نقبت عن الموقع عدة مواسم اعتبارًا من عام 1969م، لكنهم لم يعثروا على بقايا من مدينة "حشبون" عاصمة الملك الأموري "سيحون" التي ذكرتها التوراة. ويظهر أن كندر جال في جميع المناطق المحيطة بمدينة مادبا أيضًا، مثل مواقع النصب الحجرية في المريغات، وموقع الجريّنة، والكفيرات، ومنها كفير أبو سربوط، وسرابيط المشقر (الصفحات 134–139). وأتبع حديثه عن عمان ومحيطها الأثري بشرح عن خرب أثرية (الصفحات 140–155)، منها خربة صياغة بالقرب من مادبا، والتي يُعتقد أن النبي موسى قد دفن فيها، والتي ازدهرت في الفترة البيزنطية،

فبُنيت فيها الكنائس (الصفحة 154). كما خصص الصفحات (178–183) للحديث عن مدينة مادبا، وقال إنها كانت أسقفية في القرن الخامس الميلادي، وعزز هذا القولَ المباني الدينية المسيحية التي بُنيت فيها خلال هذه الفترة، والتي ساق في تقريره عددًا من مخططاتها. كما عاد بنا في الصفحات 185–189 للحديث عن حقول الأنصاب الحجرية فيها، ومنها الحجر المنصوب. لكنه لم يستطع أن يتخلى عن هدفه الأصيل، وهو البحث عن المواقع التوراتية والتحدث عنها، فعاد وزار موقع جبل نبو، واهتم بدراسته اهتمامًا كبيرًا، كما هو موضح في الصفحات 198–203. كذلك لا يخلو تقريره من وصف عدد كبير من الرجوم المنتشرة في البلقاء، وغيرها من مناطق الأردن (الصفحات 204–209). وللأسف، فإنه نتيجة للتوسع العمراني فقد أزيل معظم هذه الرجوم. وبعد أن أنهى كندر حديثه عن "شونة ذياب العدوان" والسويمة، وتل الحمّام، وتل اِكْتَتُّو والآثار الموجودة فيهما، انتقل لمناقشة النصب الحجرية في غور الأردن، مثل موقع تل المطابع شارحًا أشكالها، ومعززًا وصفه لها بالرسومات اليدوية.

وخص كندر وفريقه موقع تل نمرين بدراسة تفصيلية؛ إذ رأى أنه "بيت نمرة/بيت نمريم" المذكور في التوراة، على سبيل المثال في سفر يوشع 13:27 وفي سفر العدد 32: 3 الذي كان يمر به جدول مائي دائم، يُعتقد أنه وادي نمرين الحالي الذي يتغذى بمائه من عين الجادور في السلط (الصفحات 237–238). وعلى نفس الشاكلة، كان تعامل كندر مع "تل الرامة"، والذي برأيه يقابل موقع (بيت حرّان Beth Haran) المذكور في سفر العدد 32:36.

وتحدث في الصفحات 251–254 عن الآثار الموجودة حول مجاري الأودية، وعاد بعدها للحديث عن النصب الحجرية في وادي الجديد، معززًا شرحه لأشكالها بالرسومات اليدوية (الصفحات 254–273). وبعد أن انتهى كندر من وصف مواقع اليادودة، وياجوز، وزارا (الصفحات 279–280)، ألحق بتقريره ملحقين، تحدث في الأول عن منهج عمله وطبيعته، واستعان في الثاني بحساب المثلثات لتحديد المواقع على الخارطة.

في الختام، نستطيع القول بأن هدف ومنهج كندر البحثي اختلفا عن غيره من الرحالة والمستكشفين، من حيث أنه ركز على المواقع الأثرية والمظاهر الطبيعية فقط، ولم يلتفت لدراسة السكان، أي أهل الحضر والبادية في المناطق التي زارها كما فعل كثير غيره. وصحيح أنه انشغل بالبحث عن مواقع مذكورة في النصوص التوراتية وقدم دراسة مسهبة لها، إلا أنه لم يغفل الحديث عن الآثار المؤرخة للفترات والعصور الأخرى، مثل آثار حقول الدولمنز (النصب الحجرية) في المريغات ووادي حسبان، المؤرخة للعصر البرونزي المبكر (حوالي 3600–2000 قبل الميلاد)، وموقع شونة ذياب العدوان من الفترة العثمانية (1191 هجرية). صحيح أن بعثة كندر مولت من جمعية (صندوق اكتشاف فلسطين) وهدفها البحث عن الآثار التوراتية، وأن رئيس الفريق عمل للمخابرات البريطانية، فإننا نعتقد أنه كان مكلف بوظيفتين، هما: البحث عن المواقع التوراتية، ورسم خرائط عسكرية توضح طبيعة المناطق التي زارها (وهذا ما يؤكده الملحق الثاني في تقريره عن مسوحاته في شرق فلسطين)، خاصة منطقة البلقاء، حيث تركزت القوات العسكرية العثمانية في مدينة السلط، فانصب عمله على زيارة السلط، وعمان، ومادبا، والأغوار التابعة للبلقاء.

4. غوتليب شوماخر

ولد غوتليب شوماخر (1857–1927م) في مدينة زانسفيل (Zanesville) بولاية أوهايو الأميركية لوالد ألماني الأصل (يعقوب Jakob) مهندس معماري، من الطائفة البروتستنتية ومنتسب لجمعية المعبد (Templegesellschaft)، هاجر من مدينة تيوبنجن الألمانية.

انتقلت عائلة يعقوب شوماخر إلى مدينة حيفا في فلسطين خلال ستينات القرن التاسع عشر، وذلك عندما بدأت الخطط الألمانية الدينية لبناء مستعمرات لها في فلسطين. وكانت أولى المهام التي أوكلت لهذا المهندس وضع الأسس لبناء المستعمرة الألمانية، ومن ثم بناء مبان للطائفة المسيحية الفلسطينية التي كانت تسكن منطقة الجليل حينئذ. وخلال هذه الفترة أتم الابن غوتليب تعليمه الثانوي في مدارس حيفا، ثم درس الهندسة بجامعة شتوتغارت الألمانية خلال الفترة 1876–1881م.

رجع غوتليب شوماخر إلى حيفا بعد انتهاء دراسته في الهندسة في جامعة شتوتغارت، وباشر على الفور عمله مهندسًا في بناء الطرق والبيوت؛ إذ عينته الحكومة العثمانية رئيس مهندسي محافظة عكا. ومن أهم المباني التي أشرف على بنائها: النزل الإسكتلندي في صفد وفي طبريا، والنزل الروسي في الناصرة، وجسر نهر المقطع (River Kishon)، كما أشرف على إنشاء فرع سكة الحديد المتفرعة من الخط الحديدي الحجازي والممتدة بين دمشق وحيفا، مرورًا بدرعا. لكنْ، ما يهمنا هنا هو قيامه بمسوحات أثرية في مناطق الجولان، وحوران وعجلون والمناطق المحيطة بها. ونتج عن هذه المسوحات الأثرية مجموعة من الخرائط الدقيقة للمناطق التي زارها (شكل 4)، ووصف كامل للقرى التي زارها خلال مسوحاته، وكذلك البقايا الأثرية التي شاهدها ونشرها في كتاب عنوانه:

The Jaulân Surveyed for the German Society for the Exploration of the Holy Land.

"دراسة مسحية للجولان مقدمة للجمعية الألمانية لاكتشاف الأرض المقدَّسة".

زار غوتليب شوماخر مدينة عجلون ومناطق شمال الأردن بما فيها الجولان عام 1884م (Albright 1971: 28)، ونشر كتابًا عن نتائج زيارته عام 1890م بعنوان: "شمال عجلون: ضمن الديكابوليس". وأتبع مسوحاته الأثرية هذه في مطلع القرن العشرين بحفريات أثرية في تل المتسلم "مجدو" في سهل مرج ابن عامر بفلسطين. وبدأ شوماخر عام 1886م بنشر نتائج مسوحاته الأثرية على شكل أبحاث نشرها في المجلة الألمانية Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins، تُرجمت بعد ذلك إلى الإنجليزية ونشرتها المجلة البريطانية Palestine Exploration Fund Quarterly Statement "التقرير الربع السنوي لجمعية صندوق اكتشاف فلسطين" الصادرة عن "صندوق اكتشاف فلسطين Palestine Exploration Fund". كذلك نشر سلسلة من الكتب، ترجمتها المؤسسة نفسها أيضًا إلى الانجليزية. ونشر عام 1908م أول مجلد ناقش فيه تتابع الطبقات الأثرية والعمارة المكتشفة في تل المتسلم. كما تبع هذا المجلد، مجلد آخر نشره كارل فاتزنغر (Carl Watzinger) عام 1929م قدم فيه دراسة للمكتشفات الأثرية في الموقع.

ومن الملاحظ أن المنهج الذي اتبعه غوتليب شوماخر في تنقيباته الأثرية في تل المتسلم هو نفسه الذي اتبعه غيره من الآثاريين المعاصرين له، وذلك بالتركيز على الكشف على البقايا العمائرية أكثر من تتابع وتوالي الطبقات الأثرية. لكن ما يحسب له، هو دقة تسجيله اليومي للظواهر الأثرية المكتشفة، وتوثيقه لها بالرسم، والتصوير، ورسم المقاطع (Sections). ونقَّب شوماخر عن الموقع بأن حفر خندقًا رئيسًا وصل بين شمال الموقع وجنوبه مارًا بمركز التل، بطول يبلغ 20–25 مترًا، إضافة لخنادق أخرى أقل طولًا منه، ليوثق تتابع الطبقات الأثرية فيه. ونتيجة لهذا، استطاع أن يسجل ثماني طبقات أثرية، أرخ معظمها اعتمادًا على تحليل ودراسة الأواني الفخارية المكتشفة للفترة بين العصر البرونزي المتوسط الثاني وحتى العصر الحديدي الثاني. كما اكتشف في الموقع بقايا عمائرية متعددة أهمها مبنى لقصر (الطبقة XII) يعود للعصر البرونزي المبكر في المنطقة الجنوبية من التل.

وبعد انطلاق الحرب العالمية الأولى غادر شوماخر وجماعة المعبد (Templar Community) التي ينتمي لها إلى ألمانيا، وبقي هناك حتى عام 1924م، لكنه عاد بعدها إلى منطقة الكرمل بفلسطين حيث توفي ودفن عام 1925م.

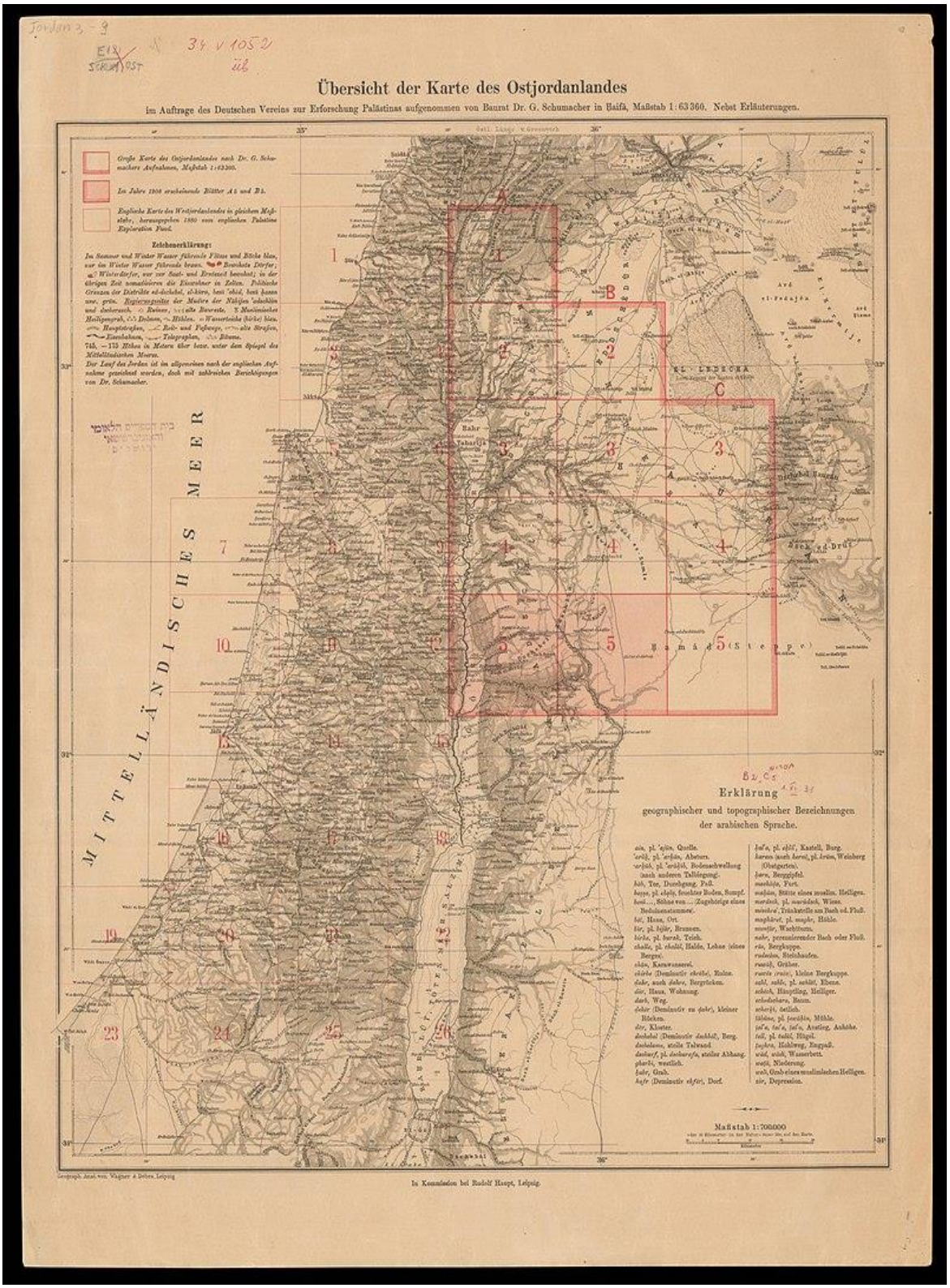

شكل 4: خارطة تبين مناطق شمال الأردن التي زارها شوماخر (عن الإنترنت)

5. رحلات رودلف–إيرنست برونوف وألفرد فون دوماشفسكي

شارك رودلف إيرنست برونوف (Rudolf Ernst Brünnow) أستاذ اللغات السامية واللغات في جامعة هايدلبيرغ الألمانية، زميلًا له هو ألفرد فون دوماشفسكي (Alfred von Domaszewski) في أعوام 1895، و1897، و1898م برحلات إلى البلاد العربية بهدف إلقاء أضواء جديدة على المقاطعة الرومية–العربية (Arabia Petraea)، والتي تضم أجزاء من بلدان لبنان وسوريا والأردن الحالية. ونقدم في أدناه نبذة حول سيرة كل منهما:

أ. رودلف إيرنست برونوف Rudolf Ernst Brünnow (1858/2/7– 1917/4/14م)

ولد الرحالة رودلف إيرنست برونوف في آن–آربر بولاية ميتشغان الأميركية، وتوفي في بارهاربر/ مين (Bar Harbor, Maine). وهو مستشرق وعالم لغويات أميريكي من أصل ألماني. رجع والده إلى ألمانيا عام 1863م، والتحق الابن رودلف بجامعة شتراسبورغ (University of Strassbourg)، وحصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة منها عام 1882م.

عُيّن برونوف في عام 1910م رئيس قسم اللغات السامية في جامعة برنستون الأمريكية، وإضافة لإجادته للغتين الألمانية والإنجليزية، تعلم الفرنسية واليونانية القديمة، والتركية، والأشورية.

ب. ألفرد فون دوماشفسكي Alfred von Domaszewski (1856/10/30–1927/3/25م)

ولد ألفرد فون دوماشفسكي في مدينة تيمشواره التي كانت تابعة للملكية الهبسبورغية (Habsburg Monarchy)، لكنه كان نمساوي الجنسية. وعرف دوماشفسكي كمؤرخ نمساوي؛ إذ تلقى علومه في المدارس النمساوية، وبعد تخرجه عمل مدرسًا في المدارس الثانوية بفينّا، ثم عمل عام 1884م في متحف الفنون التاريخية في فينّا. انتقل بعدها، عام 1887م، للعمل أستاذًا للتاريخ القديم بجامعة هايدلبرغ بألمانيا. وشارك رودلف–إيرنست برونوف في رحلاته إلى سوريا ولبنان والأردن، ومن أهم أعماله دراسته وتحليله لخارطة البترا الأثرية، كما سنرى في أدناه.

التقط برونوف ودوماشفسكي خلال رحلاتهما إلى المنطقة العربية بالتقاط صورًا لبصرى، وعمان، والبترا، وقصر المشتى. ويعدّ قصر المشتى من أهم الآثار الإسلامية المبكرة في الأردن، وعلى الرغم من أن بناء القصر لم يكتمل، إلا أن برونوف استطاع أن يوثق أبراج القصر والرسومات والزخارف الأخرى الموجودة على واجهاته بالصورة خلال زيارته للقصر في عام 1898م. ومما يذكر أنه وأثناء التخطيط لبناء سكة خط الحديد الحجازي رفع عدد من الآثاريين الألمان التماسًا للبلاط الإمبراطوري في برلين مطالبين بالمحافظة على هذه الواجهة، ونقلها إلى متحف القيصر فردريك ببرلين (Kaiser Friedrich Museum in Berlin). وبناء عليه تدخل الإمبراطور فيلهلم الثالث لدى السلطان عبد الحميد الثاني الذي تبرع بالواجهة للمتحف، فنُزعت عام 1903م ولم يتبق منها في مكانها الأصلي غير قواعدها وخمسة مثلثات مزخرفة يمكن للزائر للقصر الآن مشاهدتها. أما الواجهة المنزوعة، فهي معروضة الآن في القسم الإسلامي بمتحف البيرغاموم ببرلين. ويستطيع المهتم رؤية الواجهة بأكملها من خلال الصور التي التقطها برونوف وحسب (شكل 5).

Mushatta carved stone facade of the palace, 1898 (Brünnow and Domaszewski Expedition Archive, negative no. 430)
شكل 5: الصورة التي التقطها برونوف لواجهة قصر المشتى وتظهر الواجهة كاملة (عن الويكيبيديا)

وخلال رحلتهما إلى الأردن زارا البترا عاصمة المملكة النبطية، ورسما خارطة للمعالم الأثرية فيها. ونُشرت نتائج أعمالهما في عدة مجلدات بين عامي 1904 و1909م بعنوان:

The Provincia Arabia on the Basis of the two Trips Undertaken in 1897 and 1898 and the Reports of Earlier Travelers Described, 3 vols., Strassbourg 1904–1909 (together with Alfred von Domaszewski).

"الولاية العربية: بناء على رحلتين في عامي 1897–1898 وتقارير لرحالة سابقين كما هو موصوف. ثلاثة مجلدات. ستراسبورغ 1904–1909 (بالاشتراك مع ألفرد فون دوماشيفسكي)"

6. ألويس موزيل (Alois Musil) 30/ 6/ 1868 – 12/4/ 1944:

ولد رجل اللاهوت، والمستشرق، والمستكشف، والأنثروبولوجي ألويس موزيل (الشيخ موسى الرويلي) لعائلة فقيرة في قرية بمقاطعة "مورافيا Moravia" في دولة التشيك الحالية المحاطة بمجتمع يتحدث اللغتين الألمانية والتشيكية، ما أتاح له معرفة هاتين اللغتين. ومن المعلوم أن هذه المنطقة كانت تابعة في حينه للإمبراطورية النمساوية –المجرية.

درس بعد تخرجه من المدرسة الثانوية في الفترة 1887–1891 اللاهوت الكاثوليكي الرومي في جامعة أولوموك (University of Olomouc)وفي السنوات 1895–1898م درس في مدرسة الدومينيكان التوراتية في القدس (Dominican Biblical School in Jerusalem)، والتحق في الفترة نفسها، خلال السنوات 1897 –1898 م بجامعة القديس يوسف اليسوعية في بيروت، وذهب بعدها إلى جامعة كامبريدج في لندن، وجامعة برلين في ألمانيا. وبعد أن نجح في امتحاناته النهائية رُسِّم قسيسًا. فهو قسيس كاثوليكي، ومستشرق تشيكي، ربطته علاقات قوية بالإمبراطورية النمساوية–المجرية. عُيّن عام 1902م أستاذًا في اللاهوت في جامعة أولوموك، وفي عام 1909م أستاذًا للدراسات التوراتية واللغة العربية بجامعة فينّا في النمسا. وبالإضافة إلى مقدرته على الكتابة والقراءة باللغة العربية، فقد أجاد التحدث بعدد كبير من لهجاتها، خاصة البدوية؛ إذ إنه كان معروفًا بين القبائل البدوية العربية، مثل الشرارات،

خاصة قبيلة الرولة في البادية الأردنية (موزيل 2014: 84–87، 112–115)، وهم الذين أطلقوا عليه اسم "الشيخ موسى الرويلي". كما أنه تعلم اليونانية واللاتينية والعبرية.

تجول موزيل في عدد من البلدان العربية حتى عام 1917م، جامعًا الكثير من المعلومات العلمية عنها. وكانت أولى زياراته لمصر عام 1896م على رأس بعثة حاولت تتبع طريق خروج العبرانيين من مصر عبر سيناء. وأعطته هذه الرحلة دفعة قوية من الحماس لإجراء المزيد من الحلات، فعبر في العام نفسه نهر الأردن محاولًا البحث عن المرحلة الثانية لخروج العبرانيين، والتي جرت، حسب الروايات التوراتية، عبر شرقي نهر الأردن. وخلال هذه الرحلة، وكما كان الحال في جميع رحلاته اللاحقة، رسم خرائط طوبوغرافية للمناطق التي تجول فيها، وجمع معلومات إثنوغرافية عن سكانها. وكل ما عثر عليه أو رآه من آثار عده ذا علاقة بالتوراة. وكان بعد الانتهاء من كل رحلة من رحلاته يكتب المعلومات التي جمعها خلالها وينشرها، ويلقي المحاضرات عنها.

وأجرى موزيل بعد أن انتقل إلى بيروت والتحق بجامعة القديس يوسف اليسوعية فيها في الفترة بين 1917/5/10 – 1897/7/14م رحلة استكشافية في جنوبي فلسطين ومنطقة خليج العقبة في الأردن بهدف رسم خرائط للمنطقة (Musil 1907)، وتشكل هذه المنطقة، بطبيعة الحال، جزءًا من الطريق الذي سلكه العبرانيون من مصر، حسب النص التوراتي. لكنَّ عمله في هذه الرحلة لم يكتمل، فهو، وحسب تقريره، لم يستطع إتمام خريطة وادي موسى، ومدينة البترا على وجه الخصوص، كما أنه لم يستطع زيارة مناطق عديدة في سيناء. لذا، قرر أن يستأنف عمله في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من العام نفسه، لكنه لم يستطع الاستمرار فيها؛ لأن بعثته تعرض لكمين من البدو جنوبي غزة. لكنه وفي شهر آذار من عام 1898م، وبمساعدة قبيلة بني صخر في الأردن، قام بأهم رحلة له في المنطقة؛ إذ زار قصورًا أموية في البادية الأردنية، ورسم مخططات لها، وهي، قصر المشتى، وقصر الطوبة، والموقر، والخرانة. ومن أهم اكتشافاته قصير عمرة الأموي (القرن الثامن الميلادي) في البادية الأردنية، والذي يتميز بالرسومات الجدارية، وأشهرها منظر لستة ملوك، وراقصات، ومناظر الصيد. وزار موزيل في عام 1900م اليونان، وإسطنبول، ثم دمشق، ومن هناك ذهب إلى قصير عمرة لالتقاط صور للمناظر المرسومة على جدران المبنى الداخلية. ووصل موزيل القصير في شهر حزيران من العام نفسه، والتقط 110 صورة، ثم عاد مرة ثالثة لزيارة المبنى عام 1901م بصحبة الرسام ألفونسو ليبولد ميليش (Alfonso Leopold Mielich) (1863–1929م) لرسم الرسومات الموجودة على الجدران، ليستعين بها على تفسير هذا البناء وتأريخه، خاصة أن الإسلام يحرم تصوير البشر (شكل 6). ومن المعلوم أن المؤرخين الإسلاميين لم يأتوا على ذكر مثل هذه الرسومات في أماكن إقامتهم، وهذا أدى إلى تغيير وجهة نظر موزيل عن بداية الفن الإسلامي.

شكل 6: من رسومات قصير العمرة الجدارية

ونتيجة لخبرته الطويلة في دراسة منطقة شرقي النهر، تقدم الأستاذ رودلف إيرنست برونوف Prof. Rudolf Ernst Brünnow (1858–1917م) المقيم في سويسرا في عام 1901م بطلب لأكاديمية العلوم في فينا راجيًا أن يساعده موزيل في التحقق من صحة المعلومات الواردة في الخريطة التي رسمها للكرك ومحيطها. وقبل موزيل العمل مع برونوف، وذهب إلى سويسرا لتهيئة هذه الخريطة للنشر. ولاستكمال المعلومات الناقصة، والتأكد من المعلومات الموجودة، قرر موزيل زيارة المنطقة الواقعة جنوبي قطاع غزة في شبه جزيرة سيناء في صيف عام 1902م، فحدد مواقع الخرب، والينابيع، والجبال، والأودية، وأسقطها على الخريطة. ولرسم هذه الخريطة بشكل دقيق، استخدم موزيل أجهزة مساحة وتصوير دقيقة. وبعد أن أنجزها كانت مثالًا غير مسبوق للخرائط يحتذى به. بعدها كُلف موزيل برسم خرائط عسكرية لوزارة الحرب النمساوية–المجرية. ولما كان موزيل رجل لاهوت، فإن تعاونه مع الجيش لم يلق ترحابًا من الكنيسة، وطلبوا منه تركيز عمله على الدراسات التوراتية. لذا، نجده غيَّر تخصصه عام 1904م من الدراسات التوراتية الى دراسة الجغرافيا التاريخية والإثنولوجيا (Historical Topography and Ethnography). كما ساعد موزيل في تزويد الإنجليز والعثمانيين بمعلومات جغرافية ساعدت على وتثبيت الحدود بين مصر والدولة العثمانية وتثبيتها، وتوقيع اتفاقية رفح يوم 1/ 1906/10م.

وأُرسل موزيل خلال الحرب العالمية الأولى إلى الشرق الأوسط لمناهضة جهود الإنجليز في التحريض على الثورة ضد الإمبراطورية العثمانية، أي أنه كان في ذلك خصمًا للورنس العرب. وعُيّن بعد انتهاء الحرب أستاذًا في جامعة تشارلز ببراغ (Charles University in Prague)، وساعد في إنشاء معهد الدراسات الشرقية في أكاديمية العلوم في براغ (Oriental Institute of the Academy of Science in Prague).

وظل موزيل أستاذًا في جامعة تشارلز حتى عام 1938م، نشر خلالها تقارير رحلاته التي قام بها في نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين باللغة الألمانية في فينا، لكنْ، وبمساعدة أحد رجال الصناعة الأميركيين وخلال الأعوام 1922–1923م، نشر ترجمات لها بالإنجليزية. وكتب ونشر ما يزيد على خمسين كتابًا، بعضها مزود بالرسومات والخرائط والصور التوضيحية عن طريق الجمعية الجغرافية الأميركية (American Geographic Society)، كما نشر كتبًا للأطفال. وتوزعت أبحاثه العلمية على عدد من العلوم، نذكر منها: الاستشراق، الدراسات التوراتية، الآثار، الأثنوجرافيا، والثقافة، رسم الخرائط والمساحة، الأنثروبولوجيا الاجتماعية. ومن أعماله المنشورة أيضًا قصائد وأشعار وأغان بدوية (موزيل 2014: 27، 38–39، 98–99، 130–131، 297–298). ومن أهمها نشره خارطة للمقاطعة الرومية –العربية النبطية (Roman province of Arabia Petraea) عام 1906م، والتي شملت مساحة مقدارها 95000 ألف كيلومتر مربع، بمقياس رسم 1: 300000، أي أنها شملت مساحة الأردن حاليًا، على وجه التقريب، وأتبعها بخارطة لمنطقة وادي موسى بما فيها مدينة البترا بمقياس رسم 1: 20000 (شكل 7) (Musil 1907).

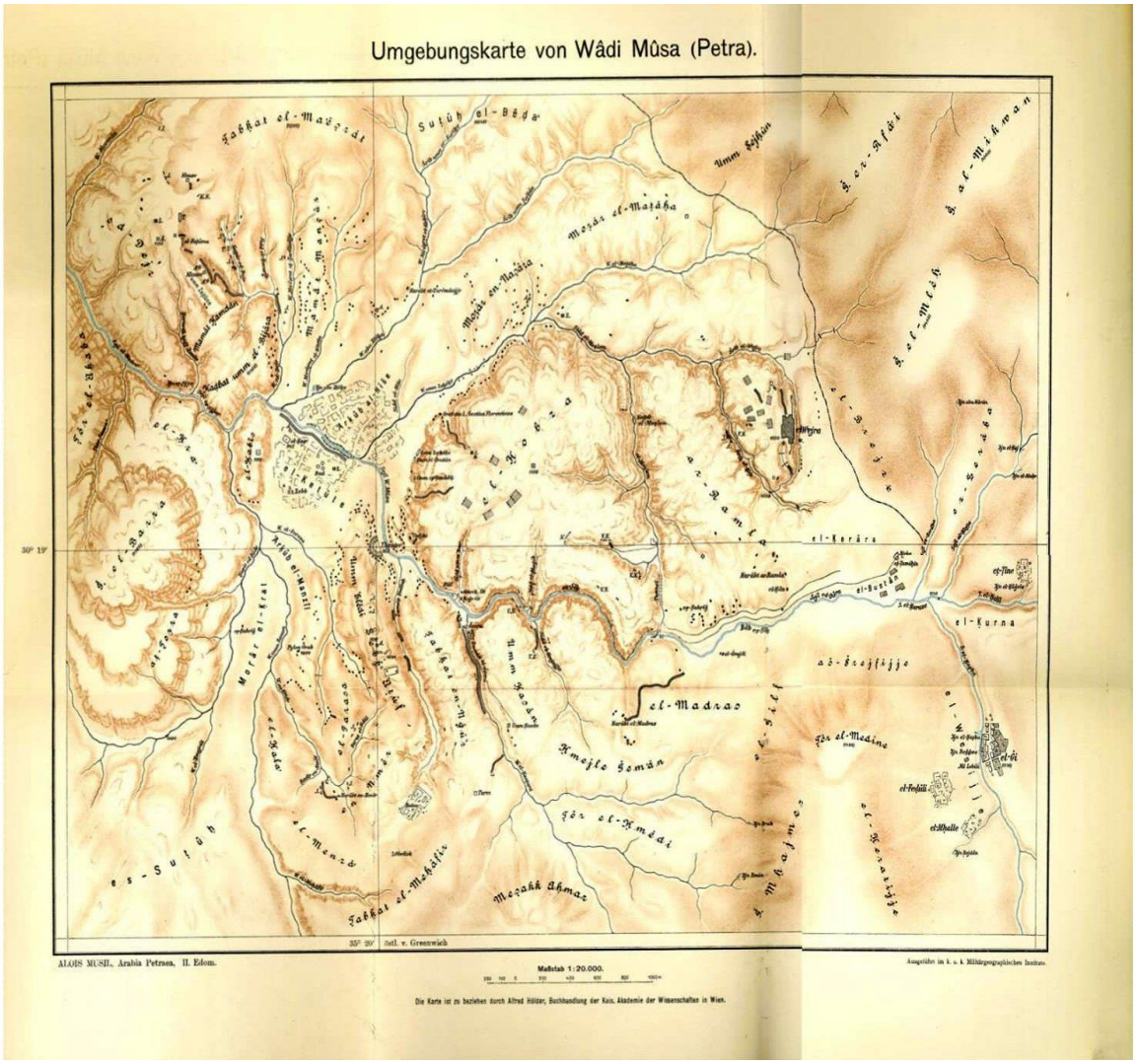

شكل 7: خارطة موزيل لوادي موسى بمقياس 1: 20.000 والتي رسمها عام 1906م (عن Musil 1907)

ومن أهم كتبه المنشورة:

-1922; Ḳuṣejr 'amra und andere Schlösser östlich von Moab: Topographischer Reisebericht. Wien.
- 1906/1907; Auf den Spuren der Geschichte des Alten Testaments, 2 Bde. Olmütz.
- 1907; Ḳuṣejr 'Amra. 2Bde. Wien.
- Musil, A. (1907). Arabia Petraea (in German). 1–4. Vienna (Wien): Alfred Hölder, for the Kaiserliche Akademie der Wissenschaften.

وبعد أن نشر موزيل كتبه هذه، عاد إلى الأردن عامي 1908–1909م، وقضى عامًا كاملًا مشتغلًا بعمل خارطة طوبوغرافية ودراسة إثنوجرافية للمنطقة الممتدة بين فلسطين والعراق. ولتحقيق هذا المأرب، عاش مع قبيلة الرولة، وتصادق مع شيخها "نوري بن شعلان" الذي أنزله منزلة الأخ. ثم دعته الحكومة العثمانية لعمل خريطة للمنطقة التي يمر بها الخط الحديدي الحجازي، بعد أن تم الانتهاء من بنائه عام 1908م. ورافقه في هذه المهمة الضابط رودلف توماسبيرغر (Rudolf Thomasberger) من المعهد الجغرافي العسكري في فينا، والجيولوجي ليوبولد كوبر (Leopold Kober).

واكتسب موزيل ثقة المحكمة الإمبراطورية في النمسا، وهذا أدخله مجال السياسة، فعُين مع بداية الحرب العالمية الأولى عام 1914م قنصلًا متجولًا للإمبراطورية في بلاد المشرق. وكان الهدف من تعيينه توحيد القبائل العربية لتقف في صف العثمانيين حلفاء ألمانيا والنمسا–هنغاريا، ولتعلن الجهاد على المتحالفين مع إنجلترا (موزيل 2014: 299–327). ورأى موزيل أن العرب البدو لن يقفوا هذا الموقف، لأن بريق الذهب الإنجليزي يغريهم أكثر من الحرب المقدَّسة. وعلى الرغم من هذا، غادر موزيل فينا بداية تشرين الثاني من عام 1914م متوجهًا إلى دمشق، ومنها إلى البادية الأردنية (موزيل 2014: 255–272). وذكر شهود عيان كانوا بصحبته أن عدد الناس في البادية تراجع كثيراً عما كان عليه الحال خلال زياراتهم السابقة، نتيجة لاختفاء آلاف الشباب خوفًا من تأدية الخدمة في الجيش العثماني، حتى أن كثيرًا من أصحاب الماشية أخفوها خشية استيلاء الجيش العثماني عليها. ورأى موزيل أن موقف القبائل العربية قد تغير نتيجة لعاملين، أولهما دفع الإنجليز المال لشيوخ القبائل، ووعودهم غير الحقيقية التي قدمها لورنس العرب (Thomas Edward Lawrence) 1888–1935م لهم بتأسيس دولة عربية. وبناء عليه، واعتبارًا من خريف عام 1917م، انحازت القبائل العربية كليًا للإنجليز.

وعيِّن ألويس موزيل قائدًا للبعثة النمساوية–الهنغارية في المشرق، وقامت هذه البعثة في خريف عام 1917م، أي مع نهاية الحرب العالمية الأولى، وبدعم عسكري ودبلوماسي، برحلة للمنطقة في محاولة أخيرة للتأثير على السكان لدعم التحالف العثماني النمساوي–الهنغاري والألماني. وكانت هذه الرحلة الثامنة والأخيرة لموزيل في البلاد العربية. ومن المفارقات في حياة ألويس موزيل أنه لبس ثياب الكاهن في أثناء عمله ضابطًا في الخدمة العسكرية والسياسية. وتوفي ألويس موزيل يوم 12/ 4/1944م.

7. هوارد كروسبي بتلر Howard Crosby Butler (7/ 3/ 1872 – 13/ 8/ 1922م)

ولد الآثاري الأميريكي هوارد كروسبي بتلر في كروتون فولز/نيويورك (Croton Falls, New York)، وتوفي في المستشفى الأمريكي نيوللي (Neuilly) في بباريس بعد عودته من حفرياته في ساردیس. تخرج بتلر من جامعة برنستون (Princeton University)، لكنه تابع دراسته في جامعة كولومبيا للعمارة (Columbia School of

(Architecture في روما وأثينا. ويعتقد كثير من الباحثين أن دراسة الآثار في جامعة برنستون بدأت حين التحق بتلر طالبًا في الجامعة عام 1892م؛ إذ عيّن في عام 1905م، أي بعد تخرجه من الجامعة نفسها، أستاذًا في تاريخ العمارة. وترأس في أعوام 1899 و1904 و1909م البعثة الأثرية لجامعة برنستون في سوريا؛ إذ كان وهو على مقاعد الدراسة مهتمًا بنتائج الاكتشافات الأثرية في سوريا التي حصلت عليها البعثة الأثرية برئاسة الملقب بماركيز دي فوغ (Marquis de Vogué) خلال السنوات 1860–1862م. لهذا انطلق في رحلته لإعادة دراسة المنطقة نفسها التي استكشفها ملهمه ماركيز دي فوغ، وذلك بدعم مادي من رجال أعمال في نيويورك. وبالاسترشاد بالخرائط والتقارير التي عملتها بعثة ماركيز دي فوغ تنقل من موقع لآخر في بلاد الشام، كما صور ورسم جميع المعالم العمائرية التي شاهدها.

نظم بتلر عام 1904م حملة جامعة برنستون الأثرية إلى سوريا بهدف إجراء دراسة تفصيلية للعمائر التي زارتها البعثة الأميركية للآثار سابقًا، والبحث عن مواقع أثرية أخرى، ونقل وتوثيق النقوش في المنطقة نفسها ولتحقيق هذا الغرض اصطحب معه علماء أصحاب اختصاص، على رأسهم الألماني إينو ليتمان (Enno Littmann) المختص في دراسة اللغات السامية والحامية، والمهندسون، والرسامون والمساحون.

ولإتمام العمل الذي بدأ عام 1904م، ترأس بتلر عام 1909م الحملة الأثرية الثالثة على سوريا، وكان هدفها هذه المرة استكمال العمل في جنوبي بلاد الشام. وخلال المواسم الثلاثة تمكنت البعثات التي رأسها بتلر أن توثق بالصورة والرسم عمائر كلاسيكية عامة وخاصة، ونقوشًا، ومنحوتات وقطعًا أثرية كثيرة مؤرخة بين القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن السابع الميلادي. وللأسف، فإن معظم هذه العمائر والموجودات الأثرية التي وثقها بتلر قبل أكثر من قرن من الزمان قد اختفت أو ضاعت الآن. ولهذا نرى أهمية عمل بتلر الذي حفظ لنا بالصورة والرسم هذه البقايا العمائرية، والنقوش، والمنحوتات، والقطع الأثرية، والتي من خلالها نستنبط طبيعة الحياة التي سادت منطقة بلاد الشام خلال الفترات الرومية والبيزنطية.

ويبدو أن بتلر كان له أثر مهم في تقرير مصير بلاد العرب بعد الحرب العالمية الأولى؛ إذ قدم عام 1919م مقترحات لجامعة برنستون عن الأوضاع السياسية التي ينبغي أن تكون لهذه البلاد بعد خروج العثمانيون منها، مبديًا رأيه في طبيعة إن كان من الممكن إنشاء دولة عربية موحدة في المنطقة، أو أن تقسم المنطقة إلى عدد من الدول.

وعلى الرغم من أن ما قام به بتلر وبعثته يعدّ أمرًا مهمًا؛ إذ حفظت لنا صوره، ورسوماته، وتقاريره معلومات عن تاريخ وآثار بلادنا في الفترات الرومية والبيزنطية، إلا أنها كانت على أهميتها متحيزة لفترة واحدة دون الفترات الأخرى. كذلك لم يختلف بتلر عن غيره من الرحالة الأوروبيين في تدخلهم في الشؤون السياسية للمنطقة.

أهمية تقارير الرحالة والمستكشفين في تقديم الآثار الأردنية

تزودنا تقارير الرحالة والمستكشفين بلمحات ومعلومات عن أوضاع البلاد التي زاروها في فترات معينة من الزمن. وقد حظيت البلاد المقدَّسة (الأردن وفلسطين) عبر العصور المختلفة باهتمام عدد كبير منهم، فسجلوا لنا مشاهداتهم حول البلاد، وملاحظاتهم حول العباد. ومن الواجب ذكره أن معظم تقارير الرحالة والمستكشفين قبل 1921م ركزت على وصف الأماكن المقدَّسة ومقارنة مواقعها بما ذكر عنها في التوراة. لكن هذا لم يمنع أننا نجد من حين لآخر ذكرًا لمواقع أخرى، ومعلومات تصور لنا الحالة الاجتماعية والاقتصادية التي كانت عليها البلاد أثناء زياراتهم. وبقدر ما نقول إن أهداف الرحالة صبت في قناة الدراسات اللاهوتية، إلا أننا نرى أيضًا أنه قد نجم عن هذه الرحلات ترحيل ونقل قطع أثرية كثيرة من البلدان العربية إلى متاحف الغرب (Kafafi 2019).

ومن الجدير بالذكر، أن هؤلاء الرحالة استفادوا من رحلاتهم، بنقل قطع أثرية عُثر عليها في الأردن، وشُحنت قبل تأسيس إمارة شرقي الأردن إلى الغرب. لكنْ، من الواجب ذكره أن هذه القطع شُحنت بمعرفة الوالي العثماني، أي لم تخرج مهربة تحت جنح الظلام. ونعتقد أن عرضها للزوار في المتاحف الأوروبية فيه فائدة عظيمة في تقديم تاريخ الأردن وآثاره، خاصة أن المتاحف تذكر أن أصلها من الأردن. كذلك لا بد من القول إن إمكانية الحفاظ عليها في أوروبا وأميركا في الوقت الحالي أفضل مما هو متوافر حاليًا في الأردن. وإذا كانت هناك نية للمطالبة بعودتها للأردن، فإننا نعتقد أنه يجب علينا توفير البيئة المناسبة لها قبل عرضها أو تخزينها، وكذلك يجب توفير الوسائل العلمية والمختبرات اللازمة لترميمها وصيانتها في حالة تعرضها للتلف، خاصة القطع المعدنية. ونقدم في أدناه مثالين فقط على القطع الأثرية التي شُحنت بمعرفة الوالي العثماني إلى متحفين من المتاحف العالمية هما: اللوفر بباريس، وبيرغاموم ببرلين:

أ. مسلة الملك المؤآبي ميشع (متحف اللوفر رقم AO 5066) (شكل 8):

بدأت في عام 1851م جمعية الكنيسة التبشيرية (Church Missionary Society) بممارسة نشاطاتها في فلسطين، فأرسلت المدعو فردريك أوغسطس كلاين (Frederick Augustus Klein) إلى القدس، وهو من أصل ألماني ولد وعاش في مدينة ستراسبورغ الواقعة على الحدود الفرنسية–الألمانية. بدأ كلاين زيارته الأولى لشرقي الأردن بتاريخ 1868/8/19م يرافقه "سطام" أحد أبناء الشيخ "فندي الفايز"؛ وزار خلالها عددًا من المدن والقرى. وخلال هذه الزيارة دعاه شيخ بني حميدة، التي تسكن ذيبان، لزيارته في ذيبان، وأطلعه على حجر منقوش (مكتوب عليه) موجود في مكان قريب من المكان الذي كان يخيم هو وقبيلته فيه، لم يره أحد قبله (Klein 1870: 281-282). وبناء عليه، ذهب كلاين ومرافقه إلى المكان، وبدأ بتفحص الحجر، وأخذ قياساته، ورسمه، ووصفه، وذكر أن النقش المنقوش عليه يتكون من 34 سطرًا (Graham 1989: 50). وذكر كلاين في تقريره أن أبعاد الحجر على النحو الآتي:
الارتفاع= 1.13 مترًا، العرض= 70 سنتيمترًا، والسمك = 35 سنتيمترًا.

ومما يذكر أن كلاين لم يستطع نقل سطور النقش، عدا بعض الكلمات، بسبب حلول الظلام. وذكر كلاين أنه عند عودته للقدس أطلع قنصل بروسيا الاتحادية في القدس الدكتور "بيترمان" من برلين على رسم الحجرالأولي (Sketch)، وبعضًا من الكتابة المنقوشة التي نسخها، وأن القنصل سُر جدًا مما رآه. لكن بيترمان زعم في مقالة نشرها أن كلاين لم يستطع رؤية الكتابة المنقوشة على الحجر بشكل جيد لحلول الظلام (Petermann 1870: 640). ووصف كلاين النقش بأنه قطعة أثرية عبرية، على النحو الآتي:
"...to the learned world parts at least of this most valuable monument of Hebrew antiquity..."(Klein 1870: 283).

وكتب يوم 1868/8/29م إلى برلين مستفسرًا إن كان المتحف الملكي مستعدًا لدفع مبلغ 100جنيه من الذهب (Napoleons) مقابل الحصول عليه، فأجاب المتحف بالإيجاب. ويظهر أن الخبر انتشر بين جميع القناصل الأوروبيين، خاصة الفرنسي والإنجليزي، وذكر القنصل الفرنسي كليرمونت–غانو (Clermont-Ganneau) أنه كان أول من عرف بالحجر، حتى قبل كلاين. وهنا بدأ صراع بين الألمان والفرنسيين والبريطانيين للحصول عليه، وطلب كل طرف من الأطراف الثلاثة من أصدقائهم خاصة في قبيلتي بني صخر وبني حميدة التدخل لصالحه. لكن استغرب كليرمونت–غانو بأن البروس الألمان لم يقوموا في حينه بعمل طبعة للنقش، لهذا قرر أن يفعل هذا بنفسه. ولكي ينجز

هذا الفعل أرسل ثلاثة أشخاص من قبيلة بني صخر، وعملوا هذه الطبعة له مقابل دفعه 400 مجيدي للشيخ عيد الفايز (Graham 1989:60). ويظهر أن الألمان البروس كان قد اتفقوا مع بني حميدة على سعر شراء الحجر منهم (120 جنيه)، عن طريق صديق لهم اسمه "سابا قعوار". لكن هذا الاتفاق واجه مشكلة أن الشيخ قبلان من مشايخ قبيلة العدوان رفض أن يمر الحجر وهو في طريقه إلى القنصلية الألمانية من أراضيه، ومن هنا طلب القنصل الألماني البروسي تدخل الوالي العثماني في القدس لصالحه. ويظهر أنه ونتيجة لهذا التضاد وخوف بني حميدة من تدخل العثمانيين وأخذه منهم بالقوة قاموا بتكسيره، مما أدى إلى تراجع الألمان البروس عن شرائه.

واستمر في عام 1870م التواصل والتشاور بين كليرمونت–غانو الفرنسي ووارن الإنجليزي، بخصوص الحجر، خاصة بعد تلقيهما طبعات لكسرتين كبيرتين من الحجر إضافة لكسر صغيرة منقوشة من الحجر نفسه (Klein 1870). واشترى بعدها شارل– كليرمو غانو جميع كسر الحجر المنقوشة، وحفظها مع الطبعات التي حصل عليها في القنصلية الفرنسية في القدس، والتي شحنتها إلى باريس. وهناك، بباريس استبنى كليرمونت –غانو الحجر وترجمه نص النقش بالكامل. ويطرح بعض الباحثين في الوقت الحاضر تساؤلات عن صحة ترميم الحجر، وأصالة النقش المنسوخ، إن كان لم يتعرض للزيادة أو النقصان.

ويشكك كلاين بصحة ترميم الحجر وببعض المعلومات التي رأى أن كليرمونت – غانو أضافها، ويقول:

"I have to add that among the letters I copied from the Moabite inscription I see several letters which were not found in the parts published by M. Ganneau and Captain Warren. Probably these letters are of rare occurance, and found on pieces not secured" (Klein 1870: 283).

بل وأكثر من هذا، فإن كلاين يعترف في تقريره بأن أحرف أول سطرين أو ثلاثة في النقش كانت مطموسة تمامًا، وهذا يفسر لماذا ادعى القنصل الألماني البروسي بأن كلاين لم يستطع الرؤية بشكل جيد لحلول الظلام حتى لا يشكك العلماء بما ورد فيها من معلومات.

شكل 8: صورة عن نسخة لمسلة ميشع

أ. واجهة قصر المشتى (شكل 9)

بنى الخليفة الأموي الوليد الثاني في حوالي 743–744م قصر المشتى الذي لم يكتمل بناؤه، علمًا أنه يعد أكبر القصور الأموية في الأردن مساحة. ويقع هذا القصر شمال مطار الملكة علياء الدولي، ويبعد 32 كيلومترًا إلى الجنوب الشرقي من العاصمة عمان. والبناء مسور بسور مربع الشكل بني فيه 25 برجًا شبه دائري الشكل، عدا اثنين عند المدخل الجنوبي، فهما سداسيا الشكل، ويبلغ طول كل ضلع من أضلاعه الأربعة 144 مترًا. ويدخل الإنسان إلى المبنى من بوابة في جداره الجنوبي، زُخرفت واجهتها بزخارف نباتية، وحيوانية، وهندسية منحوتة. وكما ذكرنا في أعلاه، وبناء على نصيحة من عدد الرحالة الألمان، ونتيجة للعلاقات السياسية والتحالفية الطيبة بين العثمانيين والألمان في تلك الآونة، طلبها القيصر فلهلم الثاني أثناء زيارته في عام 1898م للأراضي المقدَّسة من السلطان عبد الحميد الثاني، فأُهديت إليه. والواجهة معروضة الآن بقسم الفن الإسلامي في متحف البيرغاموم ببرلين.

شكل 9: واجهة قصر المشتى المعروضة في القسم الإسلامي بمتحف برغاموم ببرلين

والسؤال الذي نطرحه هنا هو الآتي: لماذا يهتم العالم الغربي بدراسة منطقة جنوبي بلاد لشام بمواقعها وآثارها في فترة القرون السابقة لإنشاء إمارة شرقي الأردن في عام 1921م؟ والجواب الأول لا يحتاج لجهد كبير، فهو، وكما أعلنوا على لسانهم لعلاقات هذه المنطقة بالأحداث التوراتية. لكننا نرى أن بعضهم يهتم بالآثار الأخرى التي لا علاقة لها بالنصوص التوراتية، الجواب هو أنهم يستطيعون من خلالها التعرف على طبيعة الناس، وكيفية معاشهم وتفكيرهم. ومن جهة أخرى، فهم يثرون متاحفهم بهذا التراث العالمي المتميز.

الخاتمة:

لم يزر المستكشفون والرحالة الغربيون المشرق من أجل خدمة العلم، والتعرف على مكنونات هذه المنطقة الطبيعية، والاقتصادية، والاجتماعية، فقط، وإنما لنشر الحضارة الغربية والتبشير بالديانة المسيحية أيضًا. وهذا يدعونا أن نختم حديثنا بالاستنتاجات الآتية:

1. محاولة الغرب ***Occident*** إعادة بسط الحضارة الغربية على المشرق ***Orient*** (شرقي المتوسط)، والتي استمرت قرابة الألف عام (332 قبل الميلاد –636 ميلادية)، بعد أن فقدت نفوذها لصالح الإسلام والحضارة الشرقية.

2. من المؤلم أن يعتقد أهل الغرب أن الديانة المسيحية هي في حمايتهم ورعايتهم، لأن قسطنطين اعترف بها ديانة رسمية للدولة الرومية الوثنية. أليس المسيح، صاحبُ الدعوة لهذه الديانة، مشرقيًا؟ وأصل الدين المسيحي في غربي نهر الأردن؟ إذن الأصل أن تكون الحماية والرعاية لأهل الشرق، وليس لأهل الغرب. وبرأيي أن هذا سلب للحقوق والتفاف عليها، والادعاء بحمايتها لتنفيذ أهداف خاصة.

وجدنا في هذا البحث أنه من الضرورة تقديم معلومات تاريخية عن الفترة السابقة لتأسيس إمارة شرقي الأردن؛ لأن معرفتها توضح تعامل المستكشفين والرحالة الغربيين مع أهل البلاد، والظروف المعاصرة لزياراتهم. ومن الملاحظ أن هؤلاء المستكشفين والرحالة كانوا إما رجال لاهوت، أو عملوا في سلك الجيش والمخابرات الغربية. وجاءت تقارير هؤلاء المستكشفين بأشكال مختلفة، بعضها على شكل يوميات كتبها فرد واحد، وأخرى تقارير مكتوبة بشكل علمي نتيجة لتداخل مجموعة من التخصصات والعلوم في دراسة المواقع والآثار المكتشفة. كما أن الأدوات التي استُخدمت في كتابة التقارير الأولى اعتمدت بشكل رئيس على الملاحظة والاستطلاع، بينما اعتمدت في نهاية الأمر على الدراسة والتحليل، من حيث مشاركة المساحين، والرسامين، والمصورين، والمهندسين، والآثاريين. وهذا جعلنا نقسّم دراسة المستكشفين والرحالة إلى ثلاثة مراحل كما ورد في أعلاه، علمًا أننا نعد حملة نابليون على مصر نقطة تحول في طبيعة هذه الزيارات والفرق الميدانية المشاركة فيها. لكنْ، من نافل القول أن معظم هؤلاء الرحالة قد اختبأوا خلف الدين الاسلامي، فأوهموا الناس بأنهم قد تحولوا للإسلام، لتحقيق مآربهم. ليس هذا فقط، بل نجد بعضهم قد غيَّر اسمه، فلودفيغ بيركهارت، مثلًا، أصبح "الشيخ ابراهيم بن عبد الله"، وألويس موزيل أصبح "الشيخ موسى الرويلي". لكنَّ هذا لم يمنع جيرترود بيل من أن تكتب تقاريرها المؤرخة للفترة بين 1899–1914م على شكل مذكرات يومية ورسائل (بيل 2008). ومن المعلوم أن جيرترود بيل قد لعبت دورًا كبيرًا وأساسًا في التشكيل السياسي للجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق، أي تقسيم المنطقة إلى دول (بيرغوين 2002).

والذي يطلع عل تقارير هؤلاء الرحالة يجد أن الهدف الأساس من رحلاتهم هذه هو التعرف إلى المواقع التي لها علاقة بالتوراة، وكذلك التبشير الديانة المسيحية (شاتليه 2020). وقد اتبع هؤلاء الرحالة والمستكشفون مقابلة الأسماء المذكورة في النصوص التوراتية مع تلك التي استطلعوها وسجلوها. وبطبيعة الحال، فإن هذا المنهج البحثي يرفضه كثير من العلماء؛ لأن لدراسة أسماء الأماكن عدد من المصادر التاريخية المكتوبة (مرقطن 2020: 36–37). ولم يتوقف الأمر عند الأماكن، بل شمل بعض تقارير الرحالة معلومات عن الناس، وطوبوغرافية المنطقة، ومعلومات عن القبائل والعشائر الأردنية والعلاقات التي كانت قائمة بينها، خاصة في تقارير ألويس موزيل. من هنا نستطيع القول إن هذه الزيارات الاستكشافية سعت إلى تحقيق غايات وأهداف غير نبيلة، فهي في المقام الأول استعمارية، تهدف للسيطرة على ثروات البلاد الطبيعية، وثانيهما فرض ثقافتها على أهل البلاد.

واختلفت تقارير المستكشفين والرحالة حسب المنهج الذي اتبعوه في رحلاتهم، فمثلًا، هناك اختلاف كبير بين تقريري سيلاه ميريل وألويس موزيل. فقد ركز ميريل على الناس وطبيعة الحياة، وعلى الطيور، وبقية الحيوانات التي وجدت في المناطق التي زارها، بينما ركز موزيل على فهم العشائر والقبائل الأردنية في البادية الأردنية. لكنْ، يجب الانتباه إلى أن ميريل لم يصل في رحلته إلى البادية الأردنية، وأن موزيل لم يأت إلى جبال الأردن وغوره. من هنا، يمكن القول إن تقارير المستكشفين والرحالة تبقى مصدرًا مهمًا من مصادر دراستنا لتاريخ الأردن وآثاره قبل تأسيس إمارة "الشرق العربي" في عام 1921م. كما أنها تنبهنا إلى أن كثيرًا من المواقع الأثرية، والبقايا الأثرية المعمارية الأخرى التي ذكرها الرحالة والمستكشفون في تقاريرهم، اختفت بسبب العوامل البشرية أكثر من الطبيعية، على الأغلب.

شكر وعرفان

يتقدم الباحث بالشكر الجزيل للزملاء الأساتذة: الدكتور علي المحافظة، والدكتور فايز الخصاونة، والدكتور منذر الشرع، والدكتور محمد خير ياسين، والدكتور عاصم البرغوثي لقراءتهم البحث وإبداء الملاحظات العلمية المناسبة عليه، وللدكتور عمر الغول لضبطه لغة هذا النص وإبداء ملاحظاته عليه. كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة الدكتورة ميسون النهار، رئيسة هيئة تحرير المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، وهيئة تحرير المجلة على تكليفهم لي كتابة هذا البحث.

The Antiquities of Jordan in the Reports of Foreign Explorers and Travelers (The Stage Before the Establishment of the Emirate of Jordan in 1921 AD)

Zeidan Kafafi*

ABSTRACT

This article studies the foreign explorers and travelers who documented the archaeological heritage of Jordan during the 18th and 19th centuries in their travel reports. The article begins with a summary of the historical and social conditions of Jordan at the time, when Jordan was part of the Ottoman state. The article examines the foreign explorers in three sub-periods:

1. From the end of the Crusader period in the aftermath of the Battle of Hittin in 1187 up to Napoleon's military expedition to Egypt in 1798.
2. From Napoleon's military expedition in 1798 up to the establishment of the Western learned societies interested in the antiquities of Palestine, starting with the British Palestine Exploration Fund in 1865.
3. From the establishment of the Palestine Exploration Fund in 1865 up to the establishment of the Emirate of Jordan in 1921.

The reports of the travelers and explorers concentrated on sites and regions mentioned in the biblical narratives

Keywords: *Jordan in the 19th Century, travelers in Jordan, biblical institutions, Mesha' Stele, Mushatta*.

* Email zeidan.kafafi@gmail.com, (Zeidan Kafafi) Orcid number: https://orcid.org/0000-0002-4262-4618, Former President of Yarmouk University, Researcher in Archeology and Ancient History, Jordan.

Received on 30/12/2021 and accepted for publication on 16/3/2022.

المصادر والمراجع العربية

إبراهيم، عماد (2009)؛ *علم الآثار ورسالته: الحضور البريطاني في القدس في القرن التاسع عشر*، القدس الفصلية 40.

البشير، خالد (2020)؛ *محاولة عربية للاستقلال عن الحكم العثماني... كيف انتهى ملك ظاهر العُمَر الزيداني؟* تقارير، حفريات، موقع إلكتروني.https://hafryat.com/ar/blog

بيرغوين، إليزابيث (2002)؛ *جيرترود بيل من أوراقها الشخصية 1914–1926*، تقديم عبد الرحمن منيف، ترجمة وتحرير وتعليق نمير عباس مظفر، عمان: دار الفارس للنشر والتوزيع.

بيركهاردت، جون لويس (2005)؛ *رحلات في الديار المقدّسة والنوبة والحجاز*، الجزء الأول، ترجمة فيصل أديب أبوغوش، عمان: وزارة الثقافة.

بيل، ليدي (2008)؛ *رسائل جيرترود بيل 1899–1914، فلسطين–الأردن– سورية*، ترجمة رزق الله بطرس ومراجعة وتقديم ماجد شبر، لندن: شركة دار الوراق للنشر المحدودة.

تريسترام، هنري بيكر (2005)؛ *رحلات في شرق الأردن: أرض مؤاب، رحلات واكتشافات في الأردن والجانب الشرقي من البحر الميت (1872م)*، *ترجمة أحمد عويدي العبادي*، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.

زيادة، نقولا (2002)؛ "إشكاليات الاستشراق والإسلام"؛ *مؤتمر الاستشراق حوار الثقافات*، سامي عبدالله خصاونة محررا ،عمان: الجامعة الأردنية، صص 23–34.

سلبرمن، نيل (2001)؛ *بحثًا عن إله ووطن. صراع الغرب على فلسطين وآثارها (1799 – 1917م)*؛ ترجمة فاضل جتكر؛ دمشق: قدمس للنشر والتوزيع.

شاتليه، أ. ت. (2020)؛ *الغارة على العالم الإسلامي*، ترجمة مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب، تقديم وتحرير عبد الله سليم عمارة، أنقره: أكيول Akyol.

كفافي، زيدان (2004)؛ *المدخل إلى علم الآثار*، إربد: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع.

كفافي، زيدان (2019)؛ "فلسطين في العصر الحديدي الأول (1200–1000 ق. م)"؛ *أدوماتو*، مج 39، صص 7–28.

كفافي، زيدان (2021)؛ "الآثار والدين والسياسة. جنوب بلاد الشام أنموذجًا"؛ *المجلة العربية للعلوم الإنسانية*، الكويت: جامعة الكويت، مج 39، عدد 156، صص 11–38.

كفافي، زيدان (تحت النشر)، "تدوين تاريخ الأردن القديم"؛ *مجلة أسطور*.

الماضي، منيب وموسى، سليمان (1988)؛ *تاريخ الأردن في القرن العشرين 1900 – 1959*، عمان: مكتبة المحتسب، الطبعة الثانية.

محافظة، علي (1981)؛ العلاقات الألمانية الفلسطينية 1841–1945، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

مرقطن، محمد (2020)؛ "ذاكرة المكان: أسماء المدن والقرى الفلسطينية ما بين الاستمرارية التاريخية والطمس الصهيوني"؛ *تبيّن*، مج 33، ع9، صص 31–55.

منصف، فاديا فؤاد (2019)؛ *جان سوفاجيه Jean Sauvaget مستشرق فرنسي، 100 كتاب وكتاب*، الدار البيضاء: المركز الثقافي للكتاب.

موزيل، ألويس (2014)؛ *في الصحراء العربية*، ترجمة رزق الله بطرس، مراجعة وتعليق الشيخ ناصر محمد العليوي، بيروت: شركة دار الورّاق، الطبعة الثانية.

موسى، سليمان (1984)؛ *رحلات في الأردن وفلسطين*، ترجمات ودراسات كلود كوندر وهنري ردجواي وهـ.ب. تريسترام وبرنارد الحكيم وستيوارت آرسكين ووليم أوكستوالد، عمان: دار ابن رشد للنشر والتوزيع.

الواعري، نائلة (2007)؛ *دور القنصليات الأجنبية في الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين 1840– 1914م*، رام الله: دار الشروق للنشر والتوزيع.

REFERENCES

Ababsa, Myriam (2013a); "Borders set by Great Britain"**;** *Atlas of Jordan. History, Territories and Society*, Myriam Ababsa, ed., Beyrouth: Institut Français du Proche-Orient, pp. 216-219.

Ababsa, Myriam (2013b); "The Jordanian Nation and its Bedouin, the Favourites of the Regime"; *Atlas of Jordan. History, Territories and Society***,** Myriam Ababsa, ed., Beyrouth: Instiut Français du Proche-Orient, P. 220.

Abu Taleb, Mahmoud (2002); "The History of Biblical Israel and the Orientalism: The Case of the Conquest"; *Conference on Orientalism. Dialogue of Cultures*, Sami A. Khasawneh ed., Amman: The University of Jordan. Pp. 203- 225.

Albright, William Foxwell (1971); *The Archaeology of Palestine***,** Gloucester, Mass.: Peter Smith.

al-Bashīr, Khālid (2020); An Arab Attempt to Gain Independence from Ottoman Rule … How did the Rule of Ẓāhir al-ʻAmr al-Zaydānī Come to an End? Ḥafrīyāt, https://hafryat.com/ar/blog

Bell, Getrude (2008);*The Letters of Gertrude Bell 1899-1914 Palestine – Jordan - Syria*, Rizq Allah Buṭrus trans., Mājid Shibr commentar., London: Dār al-Wārāq.

Burgoyne, Elizabeth (2002); *Gertrude Bell from Her Personal Papers 1914-1926*, ʻAbd el-Raḥman Munīf, intro. Numīr ʻAbbas Muẓfar, trans., Amman: Dār al-Fāris.

Burkhardt, John Lewis (2005); *Trip in the Holy Land, Nubia and the Hijaz*, Part One, Faiṣal Adīb Abū Ghōsh, trans., Amman: Wazārat al-Thaqāfah.

Chatelet, F.. (2020); *La Conquête du Monde Musulman*, Musāʻid al-Yāfī and Muḥibb al-Dīn al-Khaṭīb, trans., ʻAbd Allah Salīm ʻAmārah, ed., Ankara: Akyol.

Graham, M. P. 1989; "The Discovery and Reconstruction of the Mesha' Inscription"; *Studies in the Mesha Inscription and Moab***,** A. Dearman ed., Atlanta: Scholars Press, pp. 41-92.

Ibrāhīm, ʻImād (2009); Archaeology and its Mission. The British Presence in Jerusalem in the Ninteenth Century. *Al-Quds al-Faṣlīyah* 40.

Kafāfī, Zaydān (2004); *Introduction to Archaeology*, Irbid: Mu'assasat Ḥamādah lil-Dirāsāt al-Jāmiʻīyah.

Kafāfī, Zaydān (2019); "Palestine in the Early Iron Age (1200-1000 AD)"; *Adumatu*, Vol. 39, pp. 7-28.

Kafafi, Zeidan (2019); "Who Owns the Past: Jordanian Archaeological Masterpieces at the International Museums"; *Studies in the History and Archaeology of Jordan XIII*, pp 627-640.

Kafāfī, Zaydān (2021); "Archaeology, Religion and Politics, Southern Bilad al-Sham as an Example"; *The Arab Journal for the Humanities*, al-Kuwait: University of Kuwait, Vol. 39, No, 156, pp, 11-38.

Kafāfī, Zaydān (in press); "Recording the Ancient History of Jordan"; *Majallat Asṭūr.*

Klein, Fredrick Augustus (1870); "The Original Discovery of the Moabite Stone"; *Palestine Exploration Fund Quaterly Statement, January 1869-September 1870***,** March to June 1870.

Lichtenberger, Achim (ed.), (2002); *Ulrich Jasper Seetzen, Unter Mönchen und Beduinen. Reisen in Palästina und angrenzenden Ländern 1805-1807*. Stuttgart.

Maḥāfẓah, ʻAlī (1981); *German-Palestinian Relations 1841-1945*, Beirut: al-Mu'assasah al-ʻArabiyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr.

al-Maḍī, Munīb and Musā, Sulaymān (1988); *The History of Jordan in the Twentieth Century 1900-1959*, Ammān: Maktabat al-Muḥtasib, 2nd ed.

Mellaart, James (1956); "The Neolithic Site of Ghrubba"; *Annual of the Deprtment of Antiquities of Jordan*, Vol. 3, pp. 24-40.

Mendenhall, George E. (2002); *Conference on Orientalism. Dialogue of Cultures***,** Sami A. Khasawneh ed., Amman: The University of Jordan, pp. 193-202.

Munṣif, Fādiyā Fu'ād (2019); *Jean Sauvaget French Orientalist, 100 Books and a Book*, Casablanca: al-Markaz al-Thaqāfī lil-Kitāb.

Murqṭun, Muḥammad (2020); "Memory of Place: The Names of the Palestinian Cities and Villages Between Historical Continuity and Zionist Effacement"; *Tabbīn*, vol. 33, No. 9, pp. 31-55.

Musā, Sulaymān (1984); *Journeys in Jordan and Palestine*. Biographies and Studies of Claude Condor, Henry Ridgaway, H.B. Tristram, Bernard al-Hakim, Stewart Erskine and William Ockswald, Amman: Dār Ibn Rushd.

Musil, Alois (1907); *Arabia Petraea II. Edom***,** Vienna: Alfred Hölder.

Musil, Alois (2014), In the Arabian Desert. Rizq Allah Butrus, trans., Nasir Muhammad al-ʻAlawi, review and commentary. Beirut; Dar al-Warraq.

Pascual, Jean-Paul (2013); "Liwa Ajlun during the Ottoman Period (1517-1918)"; *Atlas of Jordan. History, Territories and Society***,** Beyrouth: Myriam Ababsa ed., Instiut Français du Proche-Orient, pp. 190-197.

Petermann, H. (1870); "Über die Auffindung der moabtischen Inschrift des Königs Mesa"; *Zeitschrift des Deutschen Morgelandes Gesellschaft*, Vol. 24, pp. 640-644.

Rook, Robert E. (1998); *The 150th Anniversary of the United States Expedition to Explore the Dead Sea and the River Jordan***,** Amman: American Center of Oriental Research.

Scurla Herbert (1961); *Reisen im Orient. Carsten Niebuhr, Ulrich Jasper Seetzen, Richard Lepsius, Heinrich Brugsch. Berichte deutscher Forscher aus dem 18. und 19. Jahrhundert. Ausgewählt und eingeleitet von Herbert Scurla***,** Berlin: Verlag der Nation.

Silberman, Neil (2001); *Digging for God and Country: Exploration, Archaeology and the Secret Struggle for the Holy Land (1799-1917)*, Fāẓil Jatkar trans.: Damascus: Qudmus.

Tristram, Henry Baker (2005); *The Land of Moab. Travels and Discoveries on the East Side of the Dead Sea and the Jordan* (1872), Aḥmad ʻUwaydī al-ʻAbādī trans., Amman: al-Ahlīyah.

al-Wāʻirī, Nāʻilah (2007); *The Role of the Foreign Consulates in the Jewish Immigration and Settlement in Palestine 1840-1914 AD*, Ramallah: Dār al-Shurūq.

Warren, Charles (1870); "Expedition to East of Jordan, July and August 1867"; *Palestine Exploration Fund Quarterly Statement, January 1869-September 1870***,** March to June 1870.

Ziyādah, Niqūlā (2002); "The Ambiguities of Orientalism and Islam"; *Conference of Orientalism. Dialogue of Culture*, Sāmī ʻAbd Allāh Khaṣāwinah, ed., Amman: the University of Jordan, pp. 23-34.